مولد المُنَاوي

للعالم العلاَّمة
والبحر الفهَّامة الشيخ المناوي

بسم الله الرحمن الرحيم

مولد المُناوي

قِفْ واستَمِع ذِكْر مَنْ أنوارُهُ لمعَتْ ... في الكائناتِ كشمسٍ في السَّما طلَعَتْ
واصغَى لمدح نبيٍّ جلَّ خالِقُهُ ... لولاهُ ما كانتِ الأنوارُ قد سَطَعَتْ
لولاهُ ما كان مُلْك اللَّهِ مُنْتَظِماً ... دُنْيا وأُخرى به كلٌّ قد افْتُتِحَتْ
قد كان نُوراً ولا لوحٌ ولا قلَمٌ ... ولا سماءٌ به إلاَّ وقد رُفِعَتْ
ولا جِنانٌ ولا نارُ الجَحِيمِ ولا ... عَرْشٌ وفرْشٌ ولا حُجْبٌ قد انتَصَبَتْ
ولا نجُومٌ ولا شمسٌ ولا قمرٌ ... ولا سحابٌ ولا أرْضٌ قد انْبَسَطَتْ
ولا جبالٌ ولا برٌّ ولا شَجَرٌ ... ولا رِياحٌ جَرَتْ في سَهْلِها وسَرَتْ
ولا دوابٌ ولا إنسٌ ولا مَلَكٌ ... ولا وُحوشٌ سَعَتْ في وَعْرِها ودَبَتْ
فالكُلُّ من نُورِهِ الرَّحمْنُ أوجَدَهُ ... لولاه ما كانتِ الآفاقُ قد نُظِمَتْ
مُذْ جاءَنا المُصْطفى بانَ الأمانُ لنا ... والكائناتُ مِنَ الأنوارِ قد مُلِئَتْ
يا مَوْلِدَ المُصْطفى هيَّجْتَ مُهْجَتَنا ... أسْقَيْتنا من عيونٍ منكَ قد نبَعَتْ
يا مَوْلِدَ المُصْطفى شَرَّفْتَ مَسْمَعنا ... بقَالةِ ذِكْرُها يَحْلُو إذا تُلِيَتْ
يا مَوْلِد المُصْطفى فرَّجْتَ كُرْبَتنا ... كَسَوْتَنا خِلْعةً من نُورِكَ انْتَسَجَتْ
يا ربِّ عفواً بجاهِ المصطفى كَرَماً ... واسْتُرْ عُيُوبي إذا الأمواتُ قد بُعِثَتْ
فإنَّ دهري انقضى في الخُسْر وآأسفِي ... ولاحَ شَيْبِي وأيامُ الصِّبا ذهبتْ
ولم يكن لي في الخيرات من عَمَلٍ ... إلا الخطايا على ظَهْرِي قد احْتُمِلَتْ
يا ربِّ هبْ للمُناوِي منكَ مَغْفِرةً ... واكْشِفْ كُرُوباً به يا ربِّ قد نَزَلَتْ

ثم يقول: الحمدُ لله الذي أنار الوجود بِطَلْعة خير البريَّة، سيِّدنا محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامِ، قمر الهداية وكوكبُ العناية الرَّبانية، مِصْباح الرحمة المُرسلة وشمس دين الإسلامِ، من تولاَّهُ مولاهُ بالحِفْظِ والحماية والرعاية السَّرْمدية وأعلا مقامه فوق كل

مقام، وفضَّلَهُ على الأنبياءِ والمُرْسلين ذَوي المراتِبِ العليَّة، فكان للأوَّلين مبدأ وللآخرين خِتام، وشرَّف أمَّته على الأمم السابقة القَبْلية فنالت به درجة القُرْبِ والسعادةِ والاحترام، وأَنْزل تشريفها في مُحْكم الآياتِ القرآنية ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١١٠] فما أعذب هذا الكلام، أحْمَدَهُ أن جعلنا من هذه الأمة المخصوصة بهذه المَزيَّة، الفائزة بالوصول إلى دار السَّلام، وأشكره على هذه العطِيَّة، وأستعين به وأستهديه على الدوام، وأتوبُ إليه من الأوزارِ والزَّلل والخطِيَّة، وأسْتغفره من الذُّنوب والآثام، وأطلبُ الفوزَ بقُرْبه والرَّجاءَ والأُمنية، وأسألهُ العفو والعافية وحُسن الخِتام، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله القديم في ذاتِهِ الأحَدِيَّة، المُنْفرد بالإيجادِ والإعدام، شهادةً أتخلَّصُ بها من التَّرعاتِ الشيطانية، وأنتظِمُ بها غداً في سِلكِ قومٍ مُخلصين لهم في العبادة أقدام، وأشهد أن سيِّدنا محمداً الذي فتح الله بمعناهُ أبوابَ النَّشأة الوجُودية، وخَتَم بصُورته نظام الأنبياءِ والمُرْسلين الكرام.

وقد اشتمل اسمُهُ الشريف على أرْبَعَة أحرُفٍ هِجائيَّة، لكل حرفٍ منها مَزيَّة ومقام، فالميمُ الأُولى ما من نبيٍّ ولا رسولٍ إلاَّ خُلق من نور طلعته البهية، فهو أصلٌ والكل منه فَرْع بلا شكٍ ولا إيهام، والحاءُ حِمىً لمن آمن به واتَّبع ملَّتَهُ الحنفيَّة، وحاشى مَنْ صَدَّقَ برسالته وتمسَّكَ بسُنَّته يُضام، والمِيمُ الأخرى مفتاح الرَّحمة يوم العرض على عالَم الأسرار الخفيَّة، والدال دَعوة شفاعته لأمَّته قد خبَّأها له في علمه العليم العلاَّم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه بُكرةً وعشية، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين لا يعتريهما انصرام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة   واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

أما بعد، فيقول العبد الفقير الرَّاجي من الله الألطاف الخفِيَّة، الطالبُ منه تعالى محوَ المساوىء والآثام، عبدُ الله بن محمد المُناويُّ المنسوب إلى الحضرة الأحمدية الشَّاذلية، أقام الله دولتها وأدام: رأيت رسول الله ﷺ في المنام رؤيةً حقيقية، ومن رآه في المنام فقد رآه حقاً كما روت عنه الأفاضِلُ الأعلام، رأيته مُزملاً في ثيابٍ سُنْدسيَّة، مربُوعَ القامة أبيضَ اللونِ جميلَ الصورةِ وفصيحَ الكلام، كامِلاً في ذاته مُكمَّلاً في أوصافِهِ الخلقية، ما خلق الله قبله ولا بعده مثله في الأنام، عظيمَ الرأسِ أسودَ الشعرِ تَتِيهُ في محاسنه العقولُ الذكيَّة، وتتحيَّرُ في كمالِ جمالِهِ الأفهام، قمرِيَّ الجَبين حواجِبُه نُونيَّة، كَحِيل الطَّرْفين أهْدَب العينين ظَريفَ القَوام، أبيضَ الخدَّينِ مُشْرباً بالحُمرة وجناتُهُ ضَوْئِيَّة، ووجهُهُ كأنه البدرُ ليلةَ التَّمام، يجري الحُسنُ في خدَّيهِ كما تجري الشمس في

مسالكها الفلكِيَّة، كوكبيَّ الأنفِ يزولُ من ضِيائِهِ الظلام، ياقُوتي الشَّفَتين مُفلَّجَ الأسنان إذا تكلَّم خرجَ النورُ من بين ثناياه اللؤلؤية، واسِعُ الفم سلسبيلَ الريقِ جميلَ الابتسام، كثَّ اللِحْية شديد الهيبَةِ مُعْتدلَ العَنَق في صفاءِ الفضَّةِ النَّقيَّة، وله عينان في ظهرِهِ يرى بهما مَنْ خَلْفَهُ كما يرى مَنْ في الأمام، بارِزَ العضُدَين طويلَ الزَّندينِ كريمَ الكَفَّينِ أجودَ من السُّحُبِ المُمْطرة الغَيْمية، سليمَ الصدرِ مُمْتلئاً من الآياتِ والأحكام، بطنُهُ على تقوى الله ومعارفه مطويَّة وإذا نامت عيناه قلبُهُ لا ينام، مُنيرَ السَّاقَين ظرِيفَ الكعبين أعقابُهُ سِراجيَّة، وله في الصَّخْرِ غاصَتِ الأقدام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة واغْـفِـرْ لـنـا ذُنُـوبـنـا والآثـامِ

* * *

فانتَبَهْتُ فَرِحاً مسروراً من رؤية ذاتِهِ المحمديَّة، مشروح الصدر زائِد الهُيام فشرعْتُ في بعض كُليماتٍ تتعلَّق بولادته السَّنِيَّة، ترتاحُ بها القلوب وتنفرجُ بها الخطوب وتلذُّ منها آذانُ من وَجَد حلاوة الإيمان والإسلام، وقد أطلقت جواد فِكْرِي في رياض بساتين الأحاديث النبويَّة، فجَنَيْتُ من ثمار أشجارها ما يوجب الاهتمام، وجعلته سهلاً في ألفاظه قريباً في معانيه البديعية، فجاء بتوفيق الله تعالى على حَسَبِ المرام، وذلك مع عجزي وتقصيري وقلَّة وُصُولي إلى هذه المراتب العَلِيّة، لأني لست أهلاً لها ولا من فرسان ميدانها ولا من رجال ذلك المقام، وما خُضْتُ هذا البحر إلاَّ طالباً من الله تعالى نجاتي يوم المشاهِدِ الحَشْرِيَّة، ودخولي في شفاعةِ سيد الأنام، فلاح لي فجرُ مطالِعِ التأليف وبان ضوءُ مِصباح العناية الربَّانيَّة، وطلعت شمُوسُ سماءِ المقالِ على أرضِ الأفهام، فسطَعَتْ على أبراجِ مباني القلوب أنوارُهُ البهيَّة فاستنار كل برج منها بعد أن كان ظلام، فأقول وأنا السائل المتوكِّلُ المُسْتعين بحول ربِّي وقُوَّتِهِ القوية، فإنَّ من سأله أعطاهُ ومن توكَّل عليه كفاهُ ومن قصدهُ لا يُضام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة واغْـفِـرْ لـنـا ذُنُـوبـنـا والآثـامِ

* * *

صلُّوا يا أهل الكمال، على النَّبِي باهِي الجمال، من حَوىٰ كلَّ المعالْ

قـــــدره مــــــا زال عــــــال

قـدرُهُ عـالـي مـفـخَـم، دائـمـاً سـامِـي مُـكـرَّم، جـاهُـهُ جـاهٌ مُـعـظَّـم

وجـــــهُــــهُ فــــاقَ الــــهــــلالْ

وجهُهُ بدرٌ مُدوَّر، جلَّ من أنشا وصوَّرْ، رأسُه مِسْكٌ وعنبر
شعرُهُ داجي اللَّيال
والجبِينُ البرقُ يَلمع، خدُّه بالنور يسطع، خدُّهُ للصُّبح مَطْلع
عينُهُ تَشْبي الغزال
عينُهُ سَوْداً كَحيلة، طلْعَةُ الهادي جميلة، بهجَةُ السامي جليلة
قدُّهُ فاقَ العوال
ثَغْرُهُ مِسْكٌ مُعطَّر، ريقُهُ سُكَّرْ مكرَّر، نُطْقُه حقٌّ مقرَّر
قولُه أحلى المقالْ
والمباسِمْ سُكَّرية، والثنايا لُؤلُؤية، والروائح عنبريَّة
هيَّجت فِكْري وبَالْ
والبَهَا للذَّاتِ كلَّلْ، في سناءٍ قد تكمَّل، وازدِهاءٍ قد تزمَّل
بالمحاسِنِ والجمالْ
صدرُهُ كنزُ المعارِف، والمعاني واللطائف، جاهُهُ للهَمِّ صارِفْ
دأْبُهُ بَذْءُ النَّوال
كفُّهُ بحرُ المكارِمْ، والعطايا والغنائِم، جُودُهُ للخَلْقِ عامِمْ
فضلُهُ يأبى المِثال
بطْنُهُ علْمٌ وحِكْمة، فهْمُهُ سرٌّ ونِعْمة، قلبُهُ نُورٌ ورحمَهْ
جلَّ بارٍ ذو جلالْ
مَشْيُهُ في الصخر عَلّم، والحجر صلَّى وسلَّم، ببراهينِ تُسلِّم
وعليهِ الظِّلُّ مالْ
كم مُحبٍّ قد تتيَّم، ومَشُوقٍ قد ترنَّم، وعذُولٍ قد تأثَّم
واكتَسَى ثوبَ النكَالْ
حبُّه في القلبِ ساكن، حُسنه للعقل فاتِن، مدحُهُ للقولِ زائنْ
كُنْهُهُ عالٍ وعَالْ
المعالي هيَّجتني، والمعاني أذهشتني، والمباني حيَّرتْنِي
منه حالي غيرُ خالْ
يا إمام الأنبياء، يا ملاذَ الأتقِياءِ، يا سراج الأولياء
دامَ لي فيك اتِّصَالْ

يا غِيَاثي من عِدَاتي، يا ملاذِي في حياتي، يا أنيسي في مماتي
راعِ حـــالِــــي بـــالــــجَـــمَـــال
يا محمَّد يا حبيبي، يا محمَّد كن طبيبي، وأجِرْني من لهِيبِ
إنَّ أوْزَاري ثِـــــــقَـــــال
كُنْ غداً يوم القِصاص، يوم يُؤْخذ بالنَّواصي، ساعِياً لي في خلاصي
مـــن حِـــســـابِ مـــع سُـــؤَالْ
فَلْمُنَاوِي في بَلِيَّة، وسجاياك عَلِيَّهْ، كُنْ لي خيرَ البريَّهْ
مُـــدرِكـــاً يـــا زَيْـــنَ وال
وصلاةٌ مع سلامٍ، على النَّبي خيرِ الأنامِ، وعلى صَحْبٍ كِرامِ
مـــع آلِ خَـــيْـــرِ آل

اعلم، وفَّقني الله وإياك للأعمال الصالحة المُرْضية، وأبرأ قلوبنا من الآلام والأسقام، ومتَّعني وإياك بزيارة روضته الشريفة النبويَّة، وجعلنا له من جُملة الخُدَّام، أن نبيَّنا ﷺ ما ذُكِرَ في مجلس إلاَّ نَفَحَتْ منه رائحةٌ زكيَّة، فتَبلغُ عنانَ السماءِ ويتجلَّى بالرحمة والرضوان ذو الجلال والإكرام، فتقول الملائكة: إلٰهنا وسيدنا ما هذه الرائحة المسكيَّة، فيقول الله سبحانه وتعالى خِطاباً للملائكة الكِرام: يا ملائكتي هذا مجلس صُلِي فيه على حبيبي محمد بن عبد الله خير الخلائقِ البشريَّة، الذي خلقتُهُ بقُدْرتي وأبدعتُهُ بحكمتي وأضفته تشريفاً إلى عَظَمتي واصْطفيته من جميع الأنام، فتنزل الملائكة على أهل ذلك المجلس وتحفُّهم بأجنحتها النورانية، ويستأنسون بهم ويصلُّون عليهم والصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار على الدوام، ويؤمِّنُون على دعواتهم ويشهدون لهم عند الله بالسعادة الأبدية، ثم يرتفعون وهم يذكرونهم بأحسنِ مقالٍ وأجلِّ مقام، فيكتبُ الله كتابَهم في علِّيين في الدار الجِنَانِيَّة، ويمنحهم قُرْبه ورِضاه ويُمتِّعهم فيها بالحور العين الحسان ونِعْم الإكرام، فزيِّنوا مجالِسنا بالصلاة عليه والتسليمات الزكيَّة، فإنه ﷺ يحضُرُ في كل مجلس يُصلَّى عليه فيه، فأكثروا من الصلاة عليه والسلام، وقد فرض الله سبحانه وتعالى الصلاة عليه والسلام في الآيات القرآنية، حيث قال وهو أصدق القائلين في محكم كتابه المفضَّل على سائر الكلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦] بدأ بنفسه وثنَّى بملائكته القُدسية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦] أمرنا بذلك في كل محفلٍ ومقام، وقد فضَّلها بعض الفُضلاء على الصلاة النَّفلية، فيا سعادة من أشغل نفسه بها ولازم وِرْدها على الدوام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة ... واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

ومن فضائل الصلاة عليه: أنها دلائل الخيرات والبركات والفتوحات السَّنِية ومنبعُ الحسنات ومهبطُ الرَّحمات والأفضالِ والإنعام، وبابُ الرَّباحُ والفلاح والصلاح والعَطِيَّة، وكنز النجاح وبحر السماح لمن لها قد أدام، وَوُصْلَةٌ بين العبد وربه وسبب لحصول الأرزاق والغنائم الدُّنيوية وحجابٌ من الكروب والخطوب والآثام، وسعادةٌ في الدَّارين وتخفِّف سكرات الموت وتحفظ من الأهوال الدنيوية والأخروية، وأمان من الفتانات ومُطلقة اللسان عند سؤال المَلَكين وسِراجٌ في القبور من الوُحشة والظلام، ويُظلَّل المُصَلي تحت ظل العرش يوم القيامة ويُؤتى كتابه بيده اليمينيَّة ويُحاسب حساباً يسيراً وينقلِبُ إلى أهله مسروراً ويُكرم غاية الإكرام، ويشرب من حوض النبي ﷺ شربةً سائِغةً هَنيَّة، ويرى عند المرور على الصراط نوراً أعظم من البدر التَّمام، ويُعطى في الجنَّة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على القلوب البشرية، ويُسقى من الرحيق المختوم في دار السلام. فعليك بها أيها المحبُّ وتلازم وِرْدها في أوقات عُمرك الدهريَّة، لعلك تفوز بدار الدوام مع الفائزين الذين دعواهم فيها سُبْحانك اللَّهم وتحيَّتهم فيها سلام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة ... واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

يا ربِّ صلِّ على النبي وآله ... من نارَتِ الدُّنيا بنور جمالِهِ
وعلى صحابته الكِرام بجَمْعِهم ... والتَّابعين العاملين بقولِهِ
ثم السَّلام على الدَّوام هدِيَّة ... للمصطفى ولزوجِه ولِنَسلِهِ
مِقْدار عِلْمك يا عليم وخَبْئِهِ ... وبقدر حِلْم لا انتهاءَ لفضلِهِ
وبقدر سمعك يا سميعَ مقالتي ... وبقدر إبصارٍ ورِفْعَةِ بالِهِ
وبقدر رحمتك التي أعطيتَها ... لمَن ارْتَجى فرحمْتُهُ مِنْ ذُلِّهِ
وبقدر نِعْمتك التي أنعمتَهَا ... والجُودِ والإحسانِ مَعْ إفضَالِهِ
وبقَدْرِ نُور جمال وجهك ربَّنا ... وبقدر سرِّ السرِّ في إجلالِهِ
وبقدر حبِّك فيه والكرم الذي ... أعطيتَهُ للعالمين لأجلِهِ
وبقدر عِزِّك يا عزيز وشأنه ... وبقدر قُرْبك في لذيذ وصالِهِ
وبقدر معلوماتِ عِلْمك دائماً ... وبقدر ذِكْرِك في كمال كمالِهِ

وبقدر مَدْحِك فيه والشرف الذي ... ما ناله ذو القَدْرِ من أمثالِهِ
وبقدر رُتبته ورفْعِ مقامِهِ ... وبقدر سُنَّتِه وصِدْق مقالِهِ
وبقدر بَهْجته وطلعة بدرِهِ ... وبقدر نشأتِهِ وصَفْوة شكلِهِ
وبقدر ما في اللَّوحِ مع قلمٍ جرى ... وبقدر بَدْءِ الدَّهر مع إيصالِهِ
وبقدر سُكَّان السماوات العُلا ... والحُجْبِ والكُرْسي وعرش جلالِهِ
وبقدر خَلْق الأرض من إنس ومن ... جنّ كذا الحيوان في أشكالِهِ
وبقدر تسبيح العِبادِ وذِكْرِهم ... وبقدر أسرار الكتاب وفضلِهِ
وبقدر ما في الأرض من شجرٍ ومِنْ ... وَرَقٍ وأثمارِ النَّبات وأصلِهِ
وبقدر رملٍ والحصى مع كل طَوْ ... دِ في الجهات ووعْرِهِ أو سهلِهِ
وبقدر ما جرتِ الرياحُ وحرَّكت ... وبقدر ما يُؤوي البِنا مع ظِلِّهِ
وبقدر ما طلعت عليه الشمسُ من ... بَرٍّ وبحرٍ والعُلُوِّ وسُفلِه
وبقدر قطراتِ البحار ووزنها ... والموج والزَّبد الرَّفيع وثُقْلِهِ
وبقدر ما في الغيثِ من مطرٍ ومن ... بردٍ وثلجٍ ثم قَدْرِ نُزُولِهِ
وبقدر صوت الرَّعد ثم دويِّهِ ... وبقدر بَرق السُّحب مع إشعاله
وبقدر أنفاسِ الخلائق كُلِّهم ... دُنيا وأخرى والحسابِ وعدلِهِ
وبقدرِ سُكَّانِ الجنانِ وما حَوَتْ ... مما أُعِدَّ من النعيم لأهلِهِ
وبقدر من سكَنَ الجحيم ومُكْثِهِ ... فيها وقدر عذابه ونَكالِهِ
وبقدر من صلَّى عليه ومن سها ... من مبدأ الدُّنيا ليوم مآلِهِ
وبقَدْرِ أيام الدُّهور ومرِّها ... وبقدر ساعات النَّهار وليلِهِ
ما لاح نجمٌ في السماءِ وما بدا ... قمرُ العلا وأضاءنا بهلالِهِ
واجعل ثوابَ صلاتِنا لمُحمَّدٍ ... أبداً دواماً لانِقاً بجمالِهِ
مقدار ما قد مرَّ من عددٍ وَزِدْ ... من فَيْضِ فضلِك قدر ذلك كُلِّهِ
ما دام وجهك باقياً يا ذا العُلا ... ورفيعُ مجدِكَ مع كمالِ كمالِهِ
يا ربِّ وفِّقنا لنقْفُو إثْرَهُ ... وامْنُن بمنهج رُشدِهِ ودليلِهِ
ولنا أنِلْ لثْمَ الضَّريح بجَمْعِنا ... وارْوِ الفؤادَ بشُرْبِ راحَ زُلالِهِ
واصفَحْ عن الزَّلاتِ وارحم ضَعْفنا ... وانعِم بتنْجِيَةِ الرَّدى ووبالِهِ
واجعل لنا من كلِّ ضيقٍ مخرجاً ... والطُفْ بنا عند القضا وحصولِهِ
واخْتِمْ بخيرٍ يا كريمُ لِجَمْعنا ... وأظِلَّنا يومَ الرَّدى بظلالِهِ

واسْمَح لعَبْدِك بالرضى والعفو عمَّا قـد جنَـاهُ مـن الـخـطـا وفِـعـالِـهِ
فـهـو الـمُـنـاوِيُّ الـذَّلـيـل الـمُـرْتَـجـي من بحر جُودِك غَسْلَ رجسِ ضلالِهِ
ولـوالِـدَيْـه اغْـفِـرْ جـمـيـعَ ذنـوبـهـم ولآلِـهِ ولِـزَوْجـه ولِـنَـسـلِـهِ
مـا قـالَ مُـشـتـاقٌ لـذِكْـرِ مـحـمَّـدٍ يـا ربِّ صـلِّ عـلـى الـحـبـيـبِ وآلِـهِ

ولما تعلَّقت إرادة الله تعالى بتكوين الكائنات علويَّة وسُفلية، وبَدْئها بأشرف العالمين أصولاً وأرفعهم في المقام، خلق نور محمد من صفاء بياض أنوار ذاته القدسية، فدار بالقُدرة وتقلَّب في خزائن الغيب حيث شاء الملك العلاَّم، ثم خلق منه العرش والكرسي واللَّوح والقلم والملائكة الروحانيَّة، وأمر القلم أن يكتب في اللوح مقادير العبادِ قبل خلقِ الكائنات بخمسين ألف عام، فكتب القلمُ ما كان وما هو كائن في المدَّة الأزليَّة، وكتب الشقيَّ شقيّاً والسعيد سعيداً كما شاء الله بأبدع اتقان وأعظم إحكام، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هُود: الآيتان ١٠٦، ١٠٧] صرَّحت بذلك الآية القرآنية ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هُود: الآية ١٠٨]، فسبحان من أنزل هذا الكلام، ثم خلق منه الجنَّة والنار، والحُجْب والكواكب والسماوات والأرضين والعوالم الحيوانيَّة، وخلق الجبال والمياه والهواء والأزمان وأقرَّ بتوحيده نور محمدٍ عليه الصلاة والسلام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة واغْـفِـرْ لـنـا ذُنُـوبـنـا والآثـامِ

* * *

ثم خلقَ أرواح النبيِّين والصدِّيقين والشُّهداء والصالحين من دُرَّة بَهْجَةِ أنوار ذاته المُصطفوية، فهو قمرٌ والكل حولَهُ كواكِبٌ عِظام، ثم جمع الله الأنبياء في حضرة قُدْسه وسطعت عليهم الأنوار المحمديَّة، فقالوا: ربنا من غَشِينا نُورُه، فقال: هذا نور محمدٍ الذي هُو لكم عِقْدُ نِظام، إن آمنتم به جعلتكم أنبياء، فقالوا: آمنَّا به وصدَّقنا برسالته الحَنَفِيَّة. فلمَّا أقرُّوا بذلك قال: فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين. فشهد بشهادتهم الملك القدوس السلام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة واغْـفِـرْ لـنـا ذُنُـوبـنـا والآثـامِ

* * *

ثم طاف نور محمدٍ ﷺ حول العرش وهو يحمد ربَّه بالمحامِدِ السَّنية، فسمَّاه الله

من أجل ذلك محمداً وزَيَّنَهُ بأشرف الشمائل وتوجَّهُ بتاج المهابة والقبول والاحترام، وخصَّه بعزَّة النصر وأيَّدَهُ بالملائكة ونزول السَّكِينة والاطلاع على الغيب والسَّبع المثاني والفضائل الوَهْبِية، وإجابة الدُّعاء وقَلْبِ الأعيان له والإبراءِ من الآلام، وأعطاه المقام المحمود والحَوْض المورود واللِواء المعقود والعِزَّ الممدود والدَّرجة العلِيَّة، وأعلمه بنُبُوَّته وبشَّره برسالته وأطلعه على جميع الأحكام، وأفاض عليه من بحارِ كمالاتِهِ الإحسانية، وألْهَمَهُ الحِلْمَ والعلم والرَّأفة والرَّحمة والرِضوان والجمال الذي لا يُسام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

صلاةُ اللَّهِ ذِي الكَرَمِ، على المختار في القِدَمِ، محمد صاحِبِ الحَرَمِ
نَبِينا المُصْطفى العَلَمِ
إمامُ الأنبيَا الكُلِّ، شريف الفَرْعِ والأصْلِ، حَمِيدِ القولِ والفِعلِ
جميلِ الخَلقِ والشِّيَمِ
وربُّ الحُسْنِ كمَّلَهُ، وبالأنوارِ جَمَّلَهُ، وشرَّفَهُ وفضَّلَهُ
على الأكوانِ كُلِّهِمِ
وقَبْلَ الخَلْقِ أوجدَه، وبالإحسان أفْردَهُ، وبالتَّعْزيز أيَّدهُ
وفضَّلَهُ على الأُممِ
وأعْلَمَهُ نُبُوَّته، وأنبأهُ رِسالتَهُ، حَوَى المختارُ غايَتَهُ
من التَّكريمِ والعِظَمِ
وقَبْلَ الخَلْقِ دُرَّتُهُ، وصورتُهُ وبَهْجته، تفُوقُ البدر طلعتُهُ
كَبدْرٍ ضَاءَ في الظُّلَمِ
هو المختار في الأزَلِ، وبَدْءُ نتائِجِ الأُوَلِ، فمنه سائِرُ الرُّسُلِ
نجومٌ وهو كالعَلَمِ
ومنه العرشُ والكُرسي، وخَلقُ الجِنِّ والإنس، وخلق البدر والشمس
وخَلْقُ اللَّوحِ والقَلَمِ
ومنه الحُجْبُ قد نُصِبَتْ، وأملاكُ السَّما خُلقت، وجنَّاتُ العُلا نشأتْ
بما فيها مِنَ النِّعَمِ
ومنه السَّبعةُ ارتفَعَتْ، طِباقاً في العُلا وقفَتْ، ومنه الأرض قد سُطِحت

بـبـهـجـةِ نُـورِهِ الـنِّـعَـمِ

حبيبي إنَّني هائِم، ولك يا مصطفى خادم، وربي بالفؤاد عالِمْ

وقـلـبـي فـيـك ذُو هِـمَـمِ

جمالُ الوجْهِ هَيَّمَني، ونُورُ الخدِّ تيَّمَني، سوادُ العينِ أحْرَمَني

لـذيـذَ الـنَّـومِ فـي الـظُّـلَـمِ

فَجُدْ يا سيدي وارْحَم، مُتيَّمْ في هواكَ مُغْرَم، فأنت السيِّدُ الأكْرَمْ

عـلـيُّ الـقَـدْرِ والـهِـمَـمِ

وحبُّكَ زادَ في وَجْدِي، فصِلْ يا مُصطفى وُدِّي، ولا تقطع وفا عَهْدِي

مُـرَادِي رُؤْيَـةُ الـحَـرَمِ

مُرَادي رؤية المَسْعَى، وفيها قُرْبَةٌ أسعى، وللبيتِ العتيقْ أُدْعَى

أضَـعْ فـي أرضِـهِ قَـدَمِـي

أقولُ لِفَرْحَتِي اتَّصِلي، غداً نَرْحل إلى الجبلِ، ونبْلُغْ غايةَ الأمَلِ

بـمـوقِـفِ مَـهْـبَـطِ الـكَـرَمِ

بعدِ الفرضِ مطلُوبي، ومقصودي ومَرْغُوبي، وُصُولي نحو محبوبي

إمـامِ الـعُـرْبِ والـعَـجَـمِ

فياذا الفَضلِ قرِّبنا، لحضرتِهِ وادْخِلنا، ومن كُرُباتنا انْجِدنا

وخَـلِّـصْـنـا مِـنَ الـتُّـهَـمِ

وَجُدْ لعُبَيْدِكَ الفاني، مُناوي المُذنب الجانِي، بعفوٍ ثم غُفرانِ

مـعَ الإخـوانِ كُـلِّـهِـمِ

ولمَّا خلق الله سبحانه وتعالى آدم من طين وتكاملت أوصافه البشريَّة، أمر الروح أن تدخل في جسده فمكثت في رأسه مائة عام وفي صدره مائة عام وفي ساقه وقدمه مائة عام، ثم أسكن نور محمد في ظهره فكانَ يتلألأ في جبينه كتلألُىء القمر في الليلة البدرية، فغلب نور محمد ﷺ على أنوار آدم عليه السلام، ثم علَّمه الله تعالى أسماء جميع المخلوقات وأمر الملائكة بالسجود له فسجدوا سجود تعظيم وتحيَّة، إلا إبليس أبى واستكبر فأدَّاه كِبْرُهُ إلى الكفر فصار من القوم اللئام، وكان يعبدُ الله مع الملائكة ويُعلِّمهم في العبادة الكيفية، فسبق عليه القضاء فَنُقِلَ من ديوان أهل السعادة إلى ديوان أهل الشَّقاوة حتى كان لنفسه من الظُّلاَّم، فأهبطه الله مذؤوماً مدحُوراً وطردَهُ من الدار الجنانيَّة، أي أخرجه منها مذموماً مخذولاً ملعوناً إلى يوم الزِّحام.

فـيـا عَـبْـداً لـربِّ الـعرشِ عـاصِـي أتـدري مـا جـزاءُ ذَوِي الـمـعـاصـي

سـعـيـرٌ لـلـعُـصـاةِ بـهـا ثُـبُـورٌ فـوَيْـلٌ يـوم يُـؤْخـذ بـالـنَّـواصي
فإن تَـصْـبِـر عـلـى الـنيران فـاعْـصَـى وإلاَّ كُـن عَـن الـعـصـيـان قـاصـي
وفـيـمـا قـد جـنَـيْـتُ مـن الـخـطـايـا هـتـكـت الـسِّـتر فـاجـهـد في الـخـلاصِ
وخـالـف أمـر نَـفْـسِـكَ مـع هـواهـا وخَـفْ ربَّ الـسَّـمـا يـوم الـقِـصـاصِ
أبـى إبـلـيـسُ لـم يـسـجُـدْ لآدَمْ فـأوقـعَـهُ الـتَّـكـبُّـرُ فـي مـعـاصِـي

ثم خلق الله حواء من ضلعٍ من أضلاع آدم الشماليَّة، أي خلقها الله تعالى منه وهو في سِنَةِ المنام، فلما استيقظ من نومه ورآها جالسة على كرسي من المعادن الذَّهبية، رَامَ القُرْب منها فقالت الملائكة له: مه يا آدَمُ، قال: كيف وقد خلقها الله تعالى لي، وذلك من الله بإلهام. فلما انقضت من آدم مقالته اللَّفظية، قالت له الملائكة: حتى تُؤدِّي صداقها بالكمال والتَّمام. فقال: وما هو، قالوا: أن تُصلِّي على محمد بن عبد الله ثلاث مرات ـ وفي رواية: عشرين عددِيَّة ـ ففعل، فجرى وجوبُ الصَّدَاق في ذُرِّيته على ممر الدهور والأعوام، ثم جمع الله رؤساء الملائكة وقال: أُشْهِدكم يا ملائكتي أنِّي زوَّجْتُ عبدي آدم من أمَتِي حواء فيا لها من زَوْجِيَّة، ثم أُتي لآدم بدابَّةٍ من دوابِّ الجنة فركبها واصطفَّت ملائكة الله عن يمينه وشماله والخلف والأمام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة واغْـفِـرْ لـنـا ذُنُـوبـنـا والآثـامِ

* * *

ولما تزوَّج آدم بحوَّاء أباح الله لهما نعيم الجنة ونهاهُما عن الأكْلِ من الشجرة الخُلديَّة، فتحيَّل إبليس حتى دخل الجنة وجاء إليهما وقال: كُلا من هذه الشجرة فإنها لذيذة الطَّعام. والسبب في دخوله أنه جلس عند باب الجنَّة في صُورةِ شيخٍ مجتهدٍ في عبادة عالِم الأسرار الغيبيَّة، ومُراده البَطار[1] أحد يَخْرُجُ ليسأله عن آدمَ فيُوضِّح له الكلام. فلما خرج الطاووس قال له: من أين، قال: من حديقة آدم الفلانية، فقال له: ما الخبر عنه، فقال: هو في أرغد عيشٍ وأحسنِ حالٍ ونحن له من جملة الخدَّام، فقال له: هل تستطيع أن تُدْخلني عليه لأجل نصيحة عندي له سرِّيَّة، فقال له: من أنت، قال: من المَكرُوبيِّينَ القائمين بالعبادة لرَّبنا حقَّ القيام، فقال له: وما النصيحة، فقال: نحن معاشر الكُرُوبيِّين لا نُطْلِع أحداً على أسرارنا الخفيَّة، فقال: النصيحة لا تكون سِرّاً ولكن اذهب إلى رضوان فإنه لا يمنعُ أحداً من دخول دار السلام. وقيل: إنه قال له: ليس لي قدرةٌ على إدخالك وإنما أدُلُّك على الحيَّة، فلما دلَّهُ عليها قال: ادخلي بي إلى الشجرة

(١) البَطَر: محرَّكة: النَّشاط، والأشر، وقلَّةُ احتمال النعمة والدَّهَش، والحيرة، أو الطغيان بالنعمة. وبطر الحق: أن يتكبر عنه فلا يقبله. (القاموس المحيط).

الخُلْدِيَّة، فقالت: وكيف ذلك، قال: أكون ريحاً في جَوْفِك، فتحوَّل ريحاً ودخل إلى الشجرة فغَنَّى في جوفها بأحسن أصواتٍ وأطربِ أنغام، فأقبل آدم مع زوجته يسمعان الأصوات المُشجية فلما رآهما بكى بكاءً شديداً وأظهر لهما الحزن والاغتمام، فقالا له: ما يُبْكيك وليست هذه الدار دار همٍّ وحزنٍ وكَرْبٍ وبليَّة، فقال: لعلكما تموتانِ وتفْقِدانِ النَّعيم المُقيم ألا أدُلُّكما على شجرة الخُلْدِ ومُلْكٍ لا يَبْلى على الدَّوام، فكُلاَ من هذه الشجرة، فقالوا: نُهِينا عن الأكل منها وكيف نخالِف من أحاط علمه بالأشياء كُلِّيةً وجُزْئيَّة، فقال: كُلاَ منها فإني لكما لمن النَّاصحين، وحلف لهما بأرفع أيمانٍ وأعظم أقسام، فلما غرَّهُما وأكَلاَ منها وجرتِ المقادير بالأمور المقضية، طار التّاج المُكَلَّلَ بالزُّمُرُّد واليواقيتِ من على رأسِ آدم وتناثرتِ الحُلَلِ وزال السَّرير من تحت الأقدام، وعاتبه الله تعالى في ذلك معاتبةً ظاهرية، لأنه كان مأموراً به في الباطن وبه سبقت المقادير وتعلَّقت الأحكام.

* * *

عتاب

يـا آدَمَ الـفَـضْـلِ أنـشـأنـاكَ إنـسـانـاً خَـلْـقـاً سَـوِيّـاً وأمْـددنـاكَ إحـسـانـا
يـا آدَمَ الـفَـضْـلِ قُـلـنـا لـلـمـلائـكـةِ اسـجُـدُوا لآدَمَ أوْلَـيْـنـاكَ رِضْـوَانـا
يـا آدَمَ الـفَـضْـلِ أسْـكَـنَّـاك دارَ عُـلاً كـانـتَ بـهـا الـحُـورُ والـوِلـدانُ سُـكَّـانـا
يـا آدَمَ الـفَـضْـلِ أعْـطـيـنـاك مـنـزِلـةً رفِـيـعـةً قـدْرُهـا يـسْـمُـو بـإعْـطـانـا
يـا آدَمَ الـفَـضْـلِ ألْـبَـسـنـاك مـن حُـلَـلٍ خُـضْـرٍ ثـيـابـاً وأخْـلـعـنـاكَ بُـرْهـانـا
يـا آدَمَ الـفَـضْـلِ مـتَّـعـنـاكَ فـي نِـعَـم لا تـنْـقَـضِـي أبـداً مـعـنـىً وأعْـيـانـا
يـا آدَمَ الـفَـضْـلِ أهْـدَيـنـاك مَـكْـرُمـةً فـبـيـنـهـا وفِـعـالٍ مـنـك شَـتَّـانـا
يـا آدَمَ الـفَـضْـلِ سـامَـحْـنـاكَ مـن خَـطـأ مَـنّـاً وفـضـلاً وأوْسَـعْـنـاك غُـفـرانَـا
يـا واسِـعَ الـلُّـطْـفِ يـا مَـن شـأنُـهُ كـرَمٌ اغْـفِـرْ فِـعـالاً جـرَتْ قُـبْـحـاً وعِـصـيَـانـا
مِـنَ الـمُـنـاويِّ إذ قـامَـتْ قـيـامَـتُـهُ وجـاءَ يـومَ الـلِّـقـا فـي الـحَـشْـر حَـيْـرانـا
بـجَـاهِ مـن أشْـرَقَـتْ فـي الـكـونِ طَـلْـعـتُـهُ الـمُـصطفى الـمُـرْتـضى مَـنْ بالـهُـدَى جانا

ثم مشى آدم في أرض الجنة ليستتر بأوراقها الشجريَّة، فقال الله تعالى: أفراراً مني يا آدم، قال: بل حياءً منك يا ذا الطَّوْلِ والإنعام، وما ظننتُ يا ربِّ أن أحداً يحلفُ كاذِباً بأسمائِكَ الجلالية. فقال: اهبطا منها جميعاً إلى دار التأميل والحُطام، فلمَّا خرج آدم من الجنَّة ودَّعَ ما فيها بعد أن ذكر الله تعالى بأسمائه الرحمانية، فقال جبريلُ عليه السلام: مهلاً يا آدم حتى يأتي العفو من المَلِكِ العلاَّم، فقال الله تعالى لجبريل مقالةً

رجِيميَّة: دعهُ يخرج يا جبريلُ وسيعود إليها بألوفٍ من ذُرِّيته. فسبحان من يجود بالإنعام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

ولـمَّا قضى الرَّحمٰن ما هو كائن جَرَى حُكْمهُ المقدورُ والوَعْدُ سابِقُ
قضى بهبوطٍ من جنانٍ لآدَمٍ وذلك أمْرُ اللَّهِ والأمْرُ صادِقُ

ولمَّا هبطا من الجنة نزل آدم بالأماكن الهِنْدِيَّة، ونزلت حواء بغيرها فمكث آدم يبكي ثلاثمائة عام، فأنبت الله من دموعه الأشجار الطِيبيَّة، وبكت حواء فأنبت الله من دموعها أصول الأزهار العِظام. ولما اجتمع آدم بحواء على عرفاتٍ فاضَتْ عليهما بركاته الرَّبانية، ووقع الصَّفاءُ والوفاءُ بينهما وطالَ السَّلام. ثم أرسل الله لهما نهراً فاغتسل آدم وغَشِيَ حواء فوَلَدَت له أربعين من الذُّريَّة، في عشرين بطناً في كل بَطنٍ ذكرٌ وأنثى ووضعت شِيثاً وحدهُ تعظيماً لنور النبيِّ وإكرام. ولما وُلِدَ شيث انتقل النور المحمَّديُّ إلى ظهره وكان يتلألأ في جبينه كالطوالِع القمريَّة، فكان يفتخر على إخوته للإجلال والإعظام، ولما انقضى أجلُ آدم وأدركته المنِيَّة، أوصى شِيثاً على أولاده وأوصاه أن لا يُودِعَ هذا النور إلاَّ في المُطهَّراتِ من النساء. فامتثل أمر أبيه وبالعمل بالوصيَّة قام. ثم أوصى أولاده بوصيَّة أبيه المَرْضِيَّة، أن لا يُودَعَ هذا النور إلا في المطهرات من النساء السليمة من الشكوك والظنون والأوهام، ولم تزل هذه الوصية تَنتقل من أشرف الأصلاب الطيِّبة الخيرية إلى أعظم البطون وأطهر الأرحام، إلى أن جاء هذا النور إلى ظهر نوحٍ الذي أنجاهُ الله ومن معه في الفُلْكِ المشحُونِ من الأمواج الجباليَّة، فحاز نوحٌ ببركته مراتِبَ الهناء، ونال المُنَى والمرام. ولما وصل نورُ محمَّد ﷺ إلى ظهر إبراهيم صاحب المِلَّة الحنيفية، أنجاهُ الله ببركته من نار عدُوِّهِ حيث قال لها: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: الآية ٦٩] ولما انتقل من ظهر إبراهيم إلى ظهر إسماعيل جاءه الفِدَاءُ من الدار الجنانيَّة، نزل به جبريل عليه السلام لما أُمر أبوه بذبحه في المنام، ولم يزل نور محمد ﷺ ينتقل من الأصلابِ الطاهرة الزكية، إلى الأرحام الفاخرة الفِخَام، إلى أن جاء في ظهر جدِّه عبد المُطَّلب المعدود من الأُمَّة التوحيدية، فحمى الله ببركته من أصحاب الفِيل البيتَ الحرام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

بَدَتْ شموسُ الهُدى من حُسْنِ قامته وأشرقَ الكون من أنوارِ غُرَّتِهِ

والكائناتُ لأجل المصطفى خُلِقَت دُنيا وأخرى جميعاً من ملاحتِهِ
هو أولُ الخَلْقِ سِرُّ العالمين به كذا جميع البرايا من بدايتِهِ
لولاهُ ما أوجد اللّه الوجودَ ولا قد كان ما كان إلاَّ من كرامتهِ
حازَتْ به الأنبيا مَجْداً ومَكْرُمةً ونالَتِ الرُّسل عِزّاً من هِدايتهِ
علا به آدمٌ أسْنَى العُلا رُتَباً وللقَبُولِ جَنَى في ظِلِّ حُرْمَتهِ
له ملائكةُ الرَّحمٰن قد سجدَتْ سُجُودَ عِزٍّ وتشريفٍ لهَيْبَتِهِ
مُذْ لاحَ في ظهرِهِ نور النبيِّ وما بدا السُّجُود له إلاَّ لِلَمْعَتِهِ
إدريسُ لما دعا لولاه ما ارتفعتْ عند المُهَيمن أقدارٌ لِرُتْبتِهِ
ويونُسُ الفَضْلِ لما بالحبيب دعا أنجاهُ مولى الوَرَى من سجْنِ غُمَّتِهِ
به توسَّل نوحٌ فاستُجِيبَ له وقد نَجَا معه من في سفينتِهِ
نجَّى من النَّارِ إبراهيم ساعة إذْ ألْقَاهُ نُمْرُودُه أسْنَى حِمايَتِهِ
وللذَّبِيح فِدًى من عند خالِقِنا جاءَ الأمينُ به فخراً لِصَفْوَتِهِ
يعقُوبُ نادى به مِنْ كُرْبَةٍ نزلَتْ عافاهُ ربُّ السَّما منها ببهجتِهِ
وردَّ يوسفُ مولاهُ عليه كذا الإبْصارُ عاد له من بعدِ ظُلْمتِهِ
أيُّوبُ مِنْ ضُرِّه لما استجارَ به أبْراهُ ربُّ الورى من داءِ بَلْوَتِهِ
داوُدُ من سرِّهِ لانَ الحديدُ له وأوتي الحُكْمَ تشريفاً لِحِكمته
به سليمانُ نالَ المُلكَ مُنْفرداً إنْساً وجِنّاً وريحاً طَوْعَ خِدْمتِهِ
موسى على الطُّور ناجاهُ الكريم وما كان الخِطابُ له إلاَّ بحضْرَتِهِ
وقد كَفَى اللّهُ عيسَى مَكْرَ ما مَكَرَتْ به اليهودُ له رَفْعٌ بِرِفْعَتِهِ
لولاهُ لولاهُ ما قَدْرٌ سما وعَلاَ وما ارتقى الرُّسل إلاَّ من مزِيَّتِهِ
والأنبياءُ به جَلَّتْ مراتبهُمْ وما حَوَوْا مجدَهُمْ إلاَّ بقُدْوَتِهِ
بجاهِهِ يا إلٰهي وَجْهَهُ أرِنا وامْنُنْ علينا بتعْزِيزٍ بِطَلْعَتِهِ
واسْمَحْ لنا بالرِّضى وانْعِمْ بمرْحَمَةٍ فُؤَادَنا ارْوِهِ من صافِي مَوَدَّتِهِ
واغْفِرْ لنا ما مضى واستُرْ فضائِحَنا وتُبْ علينا ووفِّقْنا لسُنَّتِهِ
وارْحمْ بفضلِكَ عبداً ما له عَمَدٌ سِواكَ يا عالِماً أسرار حالتِهِ
فهو المُناوِيُّ أوْزَارٌ له كَثُرَتْ يَرْجُو رِضاكَ لِتَعْفُو عن خَطِيئتِهِ
ووالِدَيهِ وأولادٍ وإخوَتِهِ والآلِ والصَّحْبِ جَمْعاً مع قرابتِهِ
واخْتِمْ بخيرٍ لكل المُسلمين ولا تَحْرِمْهُمْ يومَ حَشْرٍ من شفاعَتِهِ

وذلك أن أبرهة بنى كنيسة وزيَّنها بأنواعِ الزُّمُرد واليواقيت النَّفيسيَّة وزعم أنها كبيت مكة وأراد أن تحُجَّهَا العرب في كل عام، فأغاظه نفرٌ من القبائل الحجازيَّة، فاشتدَّ غضبه لذلك فلما أصبح أصبح وهو في كُرْبَةٍ واغْتِمام، فجمع جُنداً يزِيدُ عن ستِّين ألفاً من الفِئةِ الجاهليَّة وبعث معهم فِيلاً وأرسلهم إلى مكة طالِبينَ البيتَ العتيقَ للانْهِدام. فلما وصلوا إلى مكَّة عجز الفيل فتخلَّفوا عن دخول البلدة المحمِيَّة، فإذا وجَّهُوه إلى أيِّ جهةٍ توجَّه وإذا وجَّهُوه إلى مكَّة بَرَكَ فلم يستطع القيام. فلما رأوا ما حلَّ بهم من سوءِ نيَّتهم القبيحية، أخذوا ما لعبد المطلب من الأنعام، فجاءُه الخبر فدار نور محمدٍ ﷺ في جبينِهِ كالدَّائرة الهِلاليَّة، حتى أصبحت به أماكن مكَّة كالمصابيح يزول منها الظلام، فتوجَّه عبد المطلب إلى أمير القوم ومعه بعضٌ من السادَةِ القُرْشيَّة، وسأل الأمير في ردِّ مالِهِ فردَّ عليه ما أخذه الأقوام. ثم قال له: لِمَ لَمْ تسأل عن البيتِ، فقال: المال مالي وللبيت ربٌّ يَحْمِيه بحمايته القويَّة. فلما قصدوا هدمَهُ أرسل الله عليهم طيراً أبابيل تَرْمِيهم بحجارةٍ من سِجِّيلٍ حتى شَرِبُوا كؤُوس الحِمام، وبقي واحدٌ منهم فتوجَّه إلى مِلِكِهم وقصَّ عليه قصَّتهم المَحْكِية، فكان طائِرُهُ على رأسِهِ فأسْقط الحجر عليه فمات وخصَّ الله مِلِكَهُمْ بالبَرَص والجُذامِ، وما زال في عُقُوبةٍ إلى أن عجَّل الله بروحه إلى الطبقاتِ السعيريَّة، وألقاهُ في نارٍ ذات عذابٍ شديد وانتقام، ونصر الله عبد المطلب ببركة نور محمَّدٍ سيِّدِ البَرِيَّة، فَعَلاَ قَدْرُهُ واشتهر فضْلُهُ بينَ الأنام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة　　واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

ولما كان نور محمد ﷺ في ظهرِ جدِّه عبد المطلب كانت تفوح منه الرائحة المِسْكِيَّة، وكانت قُريش يسْتَسْقون ببركتِهِ ويستنصرون به إذا أصابهم انهزام، فرأى في منامه سلسلةٍ من فضَّة خرَجَتْ من ظهره حتى بلغت العنانة السماويَّة، ثم عادت شجرةً خضراء فتعلَّق بأغصانها جميعُ الأنام، فلما أصبح قصَّ ما رآه على أهلِ المعرفة فعبَّرُوها له بالمقالاتِ الحَسَنِيَّة، وقالوا له: يخرج من ظهرك ولد تُطِيعُهُ أهل السماوات والأرض ويكون للناس القدوَةَ والإمام.

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة　　واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

ثم أُمِرَ بحفر زمزم في المنام، فلما أصبح قصدها بهمَّةٍ عَزْمِيَّة، فمنعته قريش عنها وواصلوا بينهم وبينه حبل الخِصام، فتوجَّهُوا جميعاً إلى من يفصِلُ بينهم في هذه القضية، فأصابهم في طريقهم ظمأ شديد حتى أشرفوا على الهلاك في الجبال والآكام، فتفرَّقت

القبائل في طلبِ الماءِ، فركِبَ عبد المطلب ناقته وانبعث فنبعت من تحت خُفِّها عين ماءٍ زُلاليَّة، فدعا القبائل فشَرِبوا جميعاً وشَهِدوا له بالصلاح القويِّ التام، ثم تسامَحُوا على المصالحة بإخلاص النيَّة، ورجعوا إلى مكَّة وأمروا عبد المطلب بحفْرِ زمزم، فقال: لو رزقني الله عشرة أولادٍ لأُبادِرنَّ منهم بذَبْحِ غُلام. ثم حفر زمزم حتى بيَّن منها عيْنَها المائيَّة، وانشرح صدرُه لذلك وأمْسَتْ أعداؤُهُ في ذُلٍّ وإرْغام، فلما كَمَلَتْ أولاده عشراً أُمِرَ بوفاءِ نَذْرِهِ في النوم، فلما أصبح ذبح شاةً وأطعَمَها للفقراء الحَرَمِيَّة، فقيل له: ليس هذا المُراد. فلما أصبح ذبح بعِيراً وأطعَمَهُ للفقراء والمساكين والأيتام، فقيل له: ليس هذا المراد، فقال: وما المراد، قيل: أن تذبح واحداً من المُهَجِ القلبية، فلما أصبح قصَّ على أولاده ما وقع له في المنام، فقالوا له: نحن لك مُطِيعون ولأمْرِكَ سامِعون افعل ما شئت يا ذا الشَّيْبَة الحَمْدِيَّة. فقال: اقترعُوا، فلما اقترعوا كتبوا أسماءهم على السهام، فجِيءَ بقيِّمٍ وطرح السهام فخرج السهم على عبد الله فقبض عليه وأخذ بيده مُدْيَةً قوِيَّة، فحالت قريش بين عبد المطلب وبين ولده وقالوا: نحن نسأل من أهل المعرفة والأفهام. فتوجَّهوا إلى كاهِنَةٍ وسألوها في هذه القضية، فقالت: قدِّموا صاحِبَكُم وقدِّمُوا عشرة من الإبل فإن رضي ربُّكُمْ فاذبحوها وإن لم يَرْضَ فَزِيدُوا عشرةً بعد عشرةٍ حتى يُفْدَى هذا الغلام. فلما رجعوا قدَّموا عبد الله وقدَّموا عشرةً من الإبل وطرحُوا السهام فخرج السهم على عبد الله فزادُوا عشرة بعد عشرةٍ حتى تكاملتِ الإبل مائةً عدديَّة، فنحرها عبد المطلب بعد أن اقترع ثلاث مراتٍ وجعلها للناس وليمةً وطعاماً أيَّ طعام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

يا حَيُّ يا قَيُّوم يا حنَّان يا ربِّ يا رحمٰن يا سُلطانُ
ما زلْتُ أعرفُ بالإساءَةِ دائِماً ويكون منك العفو والغُفرانُ
لم تنتقصني إن أسأت وزدتني حتى كأنَّ إساءتي إحسانُ
تُولي الجميلَ على القبيح تكرُّماً أنتَ الإلٰهُ المُنْعِمُ المنَّانُ
ما لي إليك وسيلة يا سيدي إلاَّ الذي شَرُفَتْ به عدنانُ
المصطفى المختار أكرمُ شافِعٍ في الخَلْقِ إذ كلُّ الورى حَيْرَانُ
لِمَ لا وآدَمَ عمَّهُ لمَّا استجا رَ بِحَقِّه من ربِّهِ الإحسانُ
وكذاك إدريسُ النَّبِيُّ بجاهِهِ هُيِّىءْ له فوق السماءِ مكانُ
وكذاكَ نُوحٌ في السفينة قد دعا فنَجا وأهْلَكَ قَوْمه الطُّوفانُ

لما حَلَلْتَ بِصُلب إبراهيم قد عادت له رَوْضاً بك النِّيرانُ
وإلى الذَّبيحِ نُقِلْتَ يا خير الوَرَى ففداهُ من كأسِ الرَّدَى الرَّحمٰن
وأبُوكَ عبد اللَّهِ من ذَبْحٍ نَجا فأُزيل عنه بجاهِكَ الأحْزَانُ
يا خير خَلْقِ اللَّهِ يا تاجَ الوَرَى يا مَنْ به تتشرَّفُ الأكوانُ
كن للمُناوي في القيامَة شافِعاً فلقد رمَاهُ في الرَّدَى العِصْيانُ
وعليكَ صَلَّى ذُو الجلالِ مُسَلِّماً ما اهتَزَّ في رَوْضِ الحِمَى الأغْصان

ولما انتقل نور محمَّدٍ ﷺ من ظهر جدِّه عبد المطلب إلى ظهر ولدِهِ عبد الله بن فاطمة المخزومية، علا قدرُهُ واشتهر فضلُهُ بين الأنام وكان يتلألأ في جبينِهِ كالكواكِبِ الدُرِّيَّة، فمرَّتْ عليه قُتَيْلَةُ أختُ ورقَةَ بن نَوْفَلٍ فدعته لنفسها فقال: لا أرضى بالحرام، فأخبر والده عبد المطلب بما دعته إليه المرأة المُسمَّاة الخثعميَّة، فأخذه وتوجَّه به إلى دار وهب بن عبد منافٍ طالباً له الحفظ والاعتصام، والحقُّ أن الله سبحانه وتعالى طهَّر أصُولَهُ من سِفاحِ الجاهِليَّة، وشرَّف بطونَهُ والأرحام، فتزوَّج عبد الله بآمنة البتُولِ المَرْضِيَّة، وبنى بها في شِعْبِ أبي طالبٍ فحملَتْ بأفْصَحِ الأنبياءِ لِساناً وأحلاهُمْ في الكلام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

وفي أوَّلِ ليلةٍ من ليالي حَمْلِهِ ﷺ أغْلِقَتْ أبوابُ الجحيم وفُتِحَتْ أبواب الجِنان الرِّضوانية، واطَّلعَ الحيُّ القيُّوم وتجلَّى برحمته ورِضْوانه التجلِّي العام. واهتَزَّ العرشُ طَرَباً ومال الكُرسيُّ عَجَباً وانتشرتِ الراياتُ الربَّانية، وتلألأتِ الكائنات بالأنوار وتنكَّسَتْ على رؤوسها الأصنامِ، ونطَقَتْ دوابُ قُرَيْشٍ بالمقالات العربيَّة، وقالت: حُمِلَ برسول الله ﷺ وربِّ الكعبة فهو إمام الدُّنيا وسِراجُ الأنامِ، وفرَّتْ وحوش المشارِقِ إلى وُحوشِ المغارِبِ بالبشائِرِ القوليَّة، وبشَّرَتْ حيتَانُ البحرَ بعضها بعضاً بظهور مِصْباح الظَّلام، ونادى لسانُ حال الكائناتِ جاءنا اليُسْرُ بعد الشدائِد العُسْرِيَّة، وظهَّر إمامُ العَدْلِ والرَّقيبُ من الحواسِدِ نام، ولم تجد أُمُّهُ في حَمْلِهِ وَحماً ولا تَعَباً ولا كَرْبِيَّة، ولا ثِقَلاً ولا هُزَالاً ولا مسَّ آلام، وكان بَدْءُ حمله ﷺ في ليلة جمعة من الليالي الرَّجبيَّة، وانتهاؤه في شهر ربيع الأول ليلة الاثنين الثاني عشر من الأيام وكان ﷺ وهو في بطن أمِّه يُسبِّح ويقدِّس ذات ربه الوحدانية فكانت السيدة تسمع تسبيحه وتقديسه وهو في بطنها، فسبَّحوا من لا ينام.

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

يا سيِّد السادات يا بابَ الحِمَى يا من على الرُّسل الكِرام تقدَّما
فعليك صلَّى ذُو الجلال وسلَّما ودعاك مأموناً على وحي السَّما
يا مَن به كلُّ البقاع تشرَّفت وتفاخرت بظهوره وتزخرفت
وبحُبِّه مُهَجُ القلوب تألَّقَتْ والكون تمَّ بنوره وتنظَّما
لما انتهى نُور النبي وتكاملا في ظهر عبد الله كان له الْوَلا
حازَ المفاخر والهنا دون الملا ومقامُه بين القبائل قد سما
والناسُ حلَّ بها الرِّضى بظهوره فيهم وقد لمعت بروق بدوره
وتباشرت أمُّ الحبيب بنورِهِ ولها المُهَيْمن بالسعادة أنْعَمَا
حمَلَتْ به الأُمُّ الكريمة في رجب ولحمله ظهرت عجائبُ مِنْ عَجَبْ
نالَتْ بحمل المصطفى أعلى الرُّتب بين الورى ولها السُّرُر قد انتمى
شعبانُ ثاني حَمْلِها يا من حَضَرْ في وجهها نور المُفَضَّل قد ظهَرْ
وضياؤُهُ يغلِبْ على ضوءِ القمر إذ كان في بدر الجمَال مُتَمَّما
يا عِزَّها رمضان ثالِثُ حَمْلِها بالمُصطفى ظهرت معالِمُ فضلِها
فاقت بطلعة بدرِهِ عن مِثْلِها والسَّعدُ أقبلَ نَحْوَهَا وتقدَّما
شوالُ رابِعُ حملها بنبيِّنا يا فوزَهَا نالَتْ من الله المُنى
كَمُلَتْ محاسنُها بنورِ حبيبنَا وبوجهِهَا صُبْحُ الجمالِ تبَسَّمَا
والقَعْدَةُ الخامس لسيِّدةِ النِّسَا عنها بحَمْلِ المصطفى زال الأسى
وصفا الزمان بمدحِ طه واكتسى عزّاً وإجلالاً وزاد تَكَرُّما
والحجَّةُ السادس لحمل المصطفى لأمّ النبي الهاشمي كَمُلَ الصَّفا
وجرى بطلعة بدرِهِ بحرُ الوفا وشَدَ الزمانُ بمدْحِهِ وترنَّما
ومُحرَّمُ السابع لِقُرب وجودِهِ فينا وقد لَمعت بُرُوق سعودِهِ
والكائِناتُ تشرَّفت بشهودِهِ فرحاً وريحُ المسكِ منه تنَسَّما
والثامنُ المعروفُ صَفَرٌ للهُدى نورُ المُفَضَّل للبرايا قد بدا
نزلت على الأكوان قطراتُ النَّدى أفضالُ مولانا لأمَّتِهِ نَمَا
وأتى ربيعٌ بالسُّرورِ مُخَبِّرا بتمام حَمْلِ المصطفى ومُبَشِّرا
بِقُدُومِ أحمدَ فيه بدراً نيِّراً يهدي الأنام من الضلالة والعمى

لـمـا اسـتـهـل ولاح نـور جـمـالـه غَـمَـرَ الـورى مـن فـيـض بـحـر نـوالِـهِ
فُـتـحـت لـنـا بـطـلـوع شـمـس كـمـالِـهِ بـالـعَـفْـوِ والـرِّضـوان أبـوابُ الـحـمـى
يـا واسِـعَ الـغُـفـرانِ يـا بـاب الـرَّجـا يـا ذا الـمـرَّاحِـمِ يـا عـظـيـمَ الـمُـرْتَـجـى
عـبـدٌ ضـعـيـفٌ يَـرْتَـجـي مـنـك الـنَّـجـا مـن هَـوْلِ يـومٍ فـيـه يـشـتـدُّ الـظَّـمـا
فـهـو الـمُـنَـاويُّ الـذَّلـيـل الـمُـذْنِـبُ يَـبْـغـي رِضـاك ومَـنْ بـه يـتـقـرَّبُ
تَـشْـرُقُ بـه شـمـسُ الـذنـوبِ وتـغْـرُبُ وفُـؤادُهُ مـمـا جَـنـاهُ تـصَـرَّمـا

ولما استقر نور محمدٍ ﷺ في بطن أمِّه بشَّرتها الأنبياء في كل شهرٍ من شهور الحَمْلِ بالبشائر الجليلة البهيَّة، ففي الشهر الأول جاءها السيِّدُ آدمُ وبشَّرها في منامها بأنها حَمَلَتْ بشفيع المُذْنبين يوم الزِّحام، وفي الشَّهر الثاني جاءها شيثٌ وبشَّرها في منامها بأنها حملت بدُرَّة بهجة الأنوار المصطفويَّة التي فرَّع الله منها جميع الأشياء وأتْقَنَها ببدائع الإحكام، ولما تمَّ لحمله ﷺ شهران على أصح الأقاويل الشهريَّة، تُوفِّي أبوه عند أخوالِهِ وهو راجع من الشام، فقالت ملائكة السماوات السبع الطِباقية: ربَّنا بقيَ نبيُّك يتيماً، فقال تعالى: يا ملائكتي أنا خالِقُهُ وحافظه أينما سار أو قام. وفي الشهر الثالث جاءها نوحٌ وبشَّرها في منامها بأنها حَمَلَتْ بسفينةِ العلوم اللَّدُنية، الذي أعلا عِماد الإيمان ومنارَهُ أقام، وفي الشهر الرابع جاءها الخليل إبراهيم وبشرَّها في منامها بأنها حملت برسُولِ المِلَّة السَّمحاءِ الحَنِيفية، الذي جاهد الكفَّار والمُنافقين وأبطل عبادة الأصنام. وفي الشهر الخامس جاءها الذَّبيح إسماعيل وبشَّرها في منامها بأنها حَمَلَتْ بأفضل من نَطَقَ بالعربية الذي شرَّف الله به زمزم والحَطِيمَ والرُّكن والمقام. وفي الشهر السادس جاءها السيد داود وبشَّرها في منامها بأنها حملت بمن كانت الجوامِدُ في يدِهِ ليِّنَة طَرِيَّة الذي أحيا الليل بالعبادة حتى توَرَّمَتْ منه الأقدام. وفي الشهر السابع جاءها السيد سليمان وبشَّرها في منامها بأنها حملت بعين الأعيان الإنسانية الذي أعطاه الله بساط العِناية وجرَتْ بين يديه رياحُ الهداية وأصبحت ملائكة السماوات لحضرته من الخُدَّام. وفي الشهر الثامن جاءها السيد موسى وبشَّرها في منامها بأنها حملت بطُور التَّجليات الإلٰهية الذي خاطبه الله من فوق سبع سمواتٍ وخفض دون مقامِهِ كل مقام. وفي الشهر التاسع جاءها عيسى بن مريم الطاهرة العِمْرانية وبشَّرها في منامها بأنها حملت بأفضل مَن حجَّ واعتمر وصلَّى وصام. ولما كَمَلَتْ عِدَّة أشهره أشرقَتْ الأقطار بالأنوار المحمدية، ونُشِرَت له في جوانب الأرض الأعلام. ولما جاء شهر ربيع الأول الذي فتح الله فيه أبواب العَطِيَّة وطلعت فيه شموس الإيمان وفُتِحت كُنُوز الإنعام، حضرت ليلة مولدِهِ المُنيرة القمريَّة، واشتدَّ بآمنة الطلق بلا وجع ولا إسْقام، وكانت السيِّدة وحيدة في منزلها، فدخلت عليها النِسْوَة الحُوريَّة، ومعهُنَّ آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران

فَبَدَآنها بالتحية والسلام وأقبلت حواء في جماعةٍ وجاءت سارة الخليلية، وهنَّ يُهَنِّئْنَها بأحسن تهنئةٍ لأجلِّ اغتنام، وفُتحت أبواب السماءِ ونزلت الملائكة الروحانيَّة، وأقبل الأمينُ جبريل في كَبْكَبَةٍ[1] من الملائكة وبيدِهِ ثلاثة أعلام، ودُقَّتْ طبول الأفراح في السَّماوات والأرض وعَبَقَتْ روائح الطِّيب بين العوالِمِ الجُبروتية، وتعطَّر الملأ الأعلى بعنبر لحظاتِ أوقاته العِظام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة وَاغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

وتلألأت الكائناتُ بطوالِعِهِ السُّعودية، وافتخرتِ الخلائقُ بقدومه والعرب والأعجام، وعكفَتْ على بيت آمنة طيورٌ مناقيرُها من الزُّمرد الأخضر وأجنحتها من اليواقيت الجوهريَّة، وتدلَّتِ الكواعِبُ من السماوات وأقبل إلى بيت آمنة الغمام، ورأت رِجالاً وقفوا في الهواء بأيديهم أباريقٌ من فضة بالسلاسل الذهبيَّة فيها ماء من السلسبيل فشرِبَتْ فزال ما بها من الآلام، ولم تزل السيدة تُشاهِدُ من غرائِبِ مُعْجِزاته أموراً نورانيَّة، ومن عَجِيب آياتِهِ ما لا تُحيطُ به العقول والأفهام، وذلك في ليلة الاثنين من بعد العِشاء إلى طلوع اللَّمْعَةِ الفجريَّة، فأخذها المخاضُ ووضَعَتْه ﷺ نُوراً يتلألأ كالبدر ليلة التَّمام. ويجب علينا معشر الحاضِرِين والسَّامعين القيام عند ذكر مولدِهِ الشريف تعظيماً لقدومِ ذاتِهِ البهيَّة، فيا سعادة من وقف تعظيماً له على الأقدام.

وهذه قصيدة تُقال وقت ذِكْرِ القِيامُ:

صَلاةُ اللَّهِ ربِّي ذي الجَلالِ ... على نُورِ الهُدَى باهِي الجَمَالِ
وتَسْلِيمٌ من المَوْلى القدِيمِ ... على طَهَ المُكَمَّلِ بالكمالِ
إمامِ المُرسلين ومُنتقاهم ... سِراج العالمين بلا محالِ
هو البدرُ المُنيرُ رفيعُ جاهٍ ... شريفٌ أصله عالٍ وغالي
له وجهٌ جميلٌ لو تراه ... ترى قمراً مُنيراً في العَلالي
له شعرٌ يَحَارُ العقل فيه ... ويختطف الفؤادَ بلا اختلالِ
يلُوحُ النورُ مِنْ وَضَحِ الجبينِ ... كحِيلُ الطَّرْفِ من غير اكتحالِ
مُنيرُ الخدِّ ما أبهى ضِياهُ ... متوَّج بالمهابة والجلال
بَسِيمُ الثغرِ تفْلَتُهُ شِفاءٌ ... فصيحُ النُّطق عذبٌ في المقالِ

---

(١) الكَبْكَبَة: الجماعة. (القاموس المحيط).

لـه عـنـقٌ مـنـيـر كـوكـبـيٌّ ظـريـفٌ آخِـذٌ فـي الاعـتـدال
وقـلـبٌ لـيـس يـغـفُـلُ فـي مـنـام وفـي التَّـسـبـيـح دوماً فـي اشـتـغـالِ
سـلـيـمُ الـصَّـدْرِ مـمـلـوءٌ بـعِـلْـمٍ وحِـكْـمَـتُـهُ تـعـالَـتْ عـن مَـنَـالِ
كـريـمُ الـكـفِّ أجـودُ مـن سـحـابٍ سـريـعٌ فـي الـعـطـاءِ وفـي الـنَّـوالِ
لـه قـدمٌ إلـى الـطـاعـاتِ يـسـعـى بـه ويـقـومُ فـي داجِـي الـلـيـالـي
حـبـيـبـي جـلَّ مَـنْ سـوَّاك خَـلْـقـاً ولـم يَـخْـلُـقْ مـثـلَـكَ فـي الـرِّجـالِ
كـسـاكَ الـحُـسْـنَ أكـمـلَـهُ وخـصَّـك بـتـاجِ الـنُّـور مـع حُـسـنِ الـخِـصـالِ
وفـوق الـمُـرْسـلـيـن رُفِـعـتَ قَـدْراً وكـمَّـلَـكَ الـمُـهـيـمـنُ بـالـكـمـالِ
فـمـا فـي الـمُـلْـكِ مـثـلُـكَ مـن رسُـول حَـوَيْـتَ الـفـخـر والـرُّتَـبَ الـعـوالـي
وحُـزْتَ الـفـضـل مـن دون الـبـرايـا ونِـلْـتَ الـعِـزَّ مـع كـل الأمـالـي
وحُـبُّـكَ يـا حـبـيـبـي فـرضُ عـيـنٍ وقـلـبـي فـيـك مـشـغـولٌ وبـالـي
أنـا عـبـدٌ ضـعـيـف مـن ذُنُـوبـي وجِـسـمـي من عـظِـيـمِ الـذَّنْـبِ بَـالـي
ولا أدْرِي أعَـفْـوٌ أم جـزاءٌ ولا فـي الـحَـشْـرِ أدري كـيـف حـالـي
أنـا ابـن مـحـمـدٍ أُدعـى الـمُـنـاوي أنـا مـن صـالِـحِ الأعـمـالِ خـالـي
أنـا الـعـبـد الـذَّلـيـل وأنـت جـاهٌ أنـا فـي الـعـالَـمِـيـن سِـواكَ مـا لـي
أنـا يـا مـصـطـفـى كـثُـرتْ ذُنـوبـي وأرجـو الـعـفـو مـن مـولـى الـمـوالـي
فـكـن لـي شـافِـعـاً يـا مُـصْـطـفـانـا وعَـوْنـاً فـي الـمـهـمَّـاتِ الـثَّـقـالِ
فـمـن لـي أرْتَـجِـيـهِ لـكـشْـفِ ضُـرِّي وعَـوْنـي فـي الـشـدائـد والـنَّـوالِ
عـلـيـك صـلاةُ ربِّـي كـلَّ وقـتٍ مـع الـتَّـسـلـيـم فـي كـلِّ الـمـجـالـي

ولما بدا من بطن أمه كالشمس البهيَّة، سقط على يد أمِّ عبد الرحمٰن بن عوفٍ أحدِ البرَرَة الكِرام، فسجد لمولاه على الأرض وأومأ بطرفه إلى السماء العَلِيَّة، وفي ذلك الرَّفع شارَةٌ إلى علوِّ قدْرِهِ والمقام. ثم عَطَسَ فقال: الحمد لله ربِّ العالمين، بفصح العربية، فقالت له الملائكة: يَرْحمُك ربُّك يا خير الأنام، ثم غَشِيَتْهُ سحابة من النور فأخذته الملائكة فغيَّبَته عن أمِّه ساعة زمنِيَّة، وطافوا به جميع الكائنات فعرفه أهل السموات والأرضين وكلٌّ منهم في محبَّته هام، ثم ردَّته الملائكة إلى أمِّه وهو ملفوفٌ في ثياب خُضرٍ سُنْدُسيَّة، ومَلَكٌ يقول: يا عزَّ الدُّنيا ويا شرف الآخرة من قال بمقالتِك وشهِد بشهادتك حُشر تحت لوائِكَ يوم الزِّحام. ووُلِدَ نبيُّنا ﷺ ظَرِيفاً مخْتُوناً مسروراً مكحول العينين بكحل العناية الربَّانية، كامِل الجمال مستوراً بالهَيْبَة والجلال التَّام، مُتَخَلقاً بأخلاقِ الأنبياء من فصاحةٍ وفطانَةٍ وسخاوَةٍ نديَّة، وقوَّةٍ وشجاعةٍ وعِفَّةٍ وسماحةٍ وحُسن

قوام، وقيل: ختَنَهُ جدُّه عبد المطلب يوم سابع ميلاده وسمَّاه محمداً وصنع وليمةً وبذل فيها هِمَّته الجُهْدِيَّة، فسُئل عن ذلك، فقال: رجَوْتُ أن يُحْمَدَ في السَّمواتِ والأرض وقد حقق الله رجاءه وما رام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

وظهرت ليلة مولِدِهِ ﷺ أمور غريبة عجيبيَّة، تعظيماً لقُدُومه وإجلالاً لجنابه وإكراماً له أيَّ إكرام، منها أن تزيَّنتِ السموات وحُفظت من القواعد السَّمعية، فمن استرق السمع بعد ذلك أتْبَعَهُ شهابٌ مبينٌ بالرَّمي والرَّجم والإيلام. ولما وُلِد عيسى ابن مريم حُجِبت الشياطين عن ثلاث سمواتٍ تعظيماً لجلالته الرُّوحية وحُجبت عن الجميع لما وُلِد نبيُّنا على ممرِّ الدُّهور والأعوام، وتلألأتِ الكائنات بالأنوارِ وتدلَّت الكواكِبُ من الجوانب الأُفقيَّة، وأفلَ طالعُ الكفر ولاحَ فجرُ الإسلام، وتزيَّنتِ الجنان بأجمل زينةٍ وأجلِّ مَزِيَّة، وافتخرت الولدانُ وتبخْتَرَتِ الحُور المقصورات في الخيام، وانصدع إيوان كِسْرى وسقطت شُرُفاته المَبْنيَّة، وظهر دينُ الحقِّ وبَطَلت عبادة الأصنام، وخمدت النيرانُ التي كانت تعبدُها الجاهلية وكان لها على الصحيح لم تَخْمَد ألف عام، وغاضَتْ بحيرة ساوَهْ وقد عُرِفت بالأماكِنِ الفارسيَّة، وفاضَ ماءُ وادِي سماوَةَ وهي مفازَةٌ في جبالٍ وآكام، وكان مولدُهُ ﷺ بمكانٍ يُعرف بسوقِ الليل بالأباطِحِ المكيَّة، بالبلَدِ الحرَّامِ المُشرَّفِ بدعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام. وعند مَسْقط رأسه تنفُح إلى الآن رائحة عنبريَّة. فيا سعادة من حيَّاهُ بالتَّقْبيل وعظَّمه بالالتِثام، وأُلْبِسَتِ الشمس يوم ولادته أنواراً عظيمة ضحُويَّة، وازداد القمر نوراً على نُوره وغاب حِنْدِسُ الظلام، ووضعت الحوامِلُ ذُكوراً تعظيماً لقدوم ذاتِه المحمديَّة، واخْضَرَّت الأرض وأثْمَرَتِ الأشجارُ وجاء الرَّغْدُ من كل جانبٍ وفاض طوفان الخَيْر وتلاطمت أمواج بحورِ الإنعَام، وكان ﷺ وهو في المهد يُنَاغي القمر ويتحرَّك مهدُهُ بتحريكِ الملائكةِ الرَّوْحانية، وحديثُهُ مع القمر لأجل تَسْليتِهِ عن البُكاء ونزول دموعِهِ السِّجام، وأول من أرضعه ثوَيْبَةُ بعد أُمِّه آمنَة الوهبيَّة، وأعتقها سيِّدها لما بشَّرَتْهُ بولادَتِهِ فَجُوزِيَ بتخفيف العذاب عنه كل ليلة اثنين على الدَّوام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لما وُلد محمد ﷺ نادى المنادي تنبيهاً على رضاعَة دُرَّتِهِ اليتيمة الفرديَّة، فقالت الملائكة: ربَّنا مُرْنا أن نحمله إلى السماوات ونقوم بتربيته حقَّ القِيام. وقال الغمام: ربَّنا مُرْنا أن نحمله معنا إلى جوانب الأرض

الشرقيَّة والغربيَّة. وقالت الوحوش: ربَّنا مُرْنا أن نحمله إلى أوكارِنا. وقالت الطُّيور: ربنا مُرْنا أن نحمله إلى أعشاشِنا ونلتزم بكفالته حق الالتزام. فخرج النداءُ بلسان حالِ القُدرة الإلٰهيَّة: معاشِرَ الخلائق قد جعله الله رضيعاً لحليمة فكان لها بذلك الحظُّ الأوفر والاغتنام، وكانت حليمة في ضِيق من العَيْشِ فلمَّا أراد الله لها السعادة الأبديَّة، أقْحَطَ بلادها فكانت تُكْثِر من الحمد في النُّور والظلام، فرأت في منامها رجلاً آخذ بيدها إلى نهر أشدّ بياضاً من اللّبن وأحلى من الأشْرِبة العلِيَّة، وقال: اشربي يا حليمة، فشربت وقالت له: من أنت، قال: أنا الحمد الذي كنت تحمدين الله به في الشَّدائِدُ والخُطُوب العِظام، يا حليمة لك البُشْرى برضاعَةِ سيِّد المُرْسلين وخير البريَّة، فاكتمي أمْرَك ولا تُظْهري شأنَكِ. فانتبهت مسرورة من رؤيا المنام وكانت حامِلاً فوضعت حملها وهي تأكل من نبات الأرض وأعشابها الطَّرِيَّة، وكانت مع ذلك في غاية الصَّبر ونهاية الشُّكر والرِّضا بالقضاء والقدر والاستسلام، فخرجت ذات يوم مع نِسْوة لبني سعد في طلب النباتِ من البقاع الجبليَّة، فسمِعْن منادياً يقول: وُلِدَ بمكَّةَ مولودٌ فهنيئاً لثَدْيِ أرضَعَهُ وطُوبى لعبدِ كَفَلَه ويا نعمَ المولودُ ويا له من غُلام. فلما رجعن أخبرن أزواجهنَّ بما سمِعنه في الأماكن البرية، فعزموا على الرَّحيل إلى مكَّة البلدِ الحرام. فلمَّا أصبحوا تجهَّزوا للمسير فخرجت حليمة معهم على أتانٍ ضعيفةٍ غير قويَّة، فلما وصلوا إلى مكة عُرِضَ عليهم نبيُّنا ﷺ فأعرضوا عنه لِيُتمِهِ وكانت حليمة في عقب الأقوام، فلما وصلت رأت عبد المطلب واقِفاً بباب دارِ أُمِّه آمنة الوَهْبيَّة، فسألته عن مولودٍ فقال لها: عندي مولودٌ لكنَّه يتيم ومات أبوه وهو في اجتنانِ الأرحام، ثم عُرِضَ على المراضِعِ فأعْرضن عنه لِيُتْمِهِ وفقر حال أمه فقالت: رضيت به، فقال: ما الاسم، قالت: حليمة السَّعدية، فقال لها: حِلْمٌ وسَعْدٌ ادخلي عليه، فدخلت فرأته قمراً مُنِيراً ونظرت إلى وجهه فوجدته مُشتملاً على بشر وابتسام. فحملته بين يديها وأعطته ثديها الأيمن فشرِبَ ثم حوَّلته إلى الأيسر فأبى، وذلك من شرائِعِهِ العدْلية. فقد أعلمه الله أن له شريكاً وهو أخوه من الرِّضاعة فترك له ثديها الأيسر ليتغذَّى منه على الدَّوام. وأقامت حليمةُ بالمصطفى ﷺ عند أمه آمنة المَرْضِيَّة، فعظمَّها عبد المطلب غاية التَّعظيم وأكرمها غاية الإكرام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة ... واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

ولما انصرفت المَرَاضِعُ بالأطفال خرجت حليمة معهنَّ بعد أن ودَّعت أمه آمنة المحفوظة بالعناية الرَّبانية، فركبت أتانها ووضعته بين يديها وهي في فرحٍ وسرور وأمانٍ وسلام، فنظرت إلى الأتان وقد سجدت نحو الكعبة بالقواعد الإبراهيمية، ثم رفعت

رأسها وقد كُسِيت حُلَّة القوَّة والشجاعة كأنه لم يكن بها شيء من الأسقام، فكانت تسعى بهم كالجواد فقالت المراضِع: يا حليمةُ ليست هذه أتانك الأوليَّة، فرفعت الأتان رأسها وخاطبهم لسان حالها بأفصح خطابٍ وأبلغ كلام قائلاً: أنتن في غفلة لو تعلمن من على ظهري، على ظهري خيرُ النبِّيين وسيِّدُ المُرْسلين ورسول الحضرةِ الربَّانية به بعثني الله وأحياني بعد موتي وعافاني فسبحان مُحيي العظام.

علـى ظهـري إمـامُ الأنـبـيـاء ... مـليـحُ الـوجـه مـرفُـوعُ الـلِّـواءِ
رُحِـمْـتُ بـه ونِـلْـتُ كـمـال سـعـدي ... وأُنْـسِـي والـسـرور مـع الـهـنـاءِ
وتـوَّجَـنـي بـتـاجِ الـعِـزِّ ربـي ... وألـبـسـنـي الـقُـوى وأزال كَـرْبِـي
وأخـرج مـن حِـشـاي ظـلام قـلـبـي ... وشـرَّفـنـي وتـمَّـم لـي عـطـائـي
وطـيَّـبَ لـي بـعـنـبـرِهِ نـفـوسـي ... فـيـا فـرحـي بـطـلـعـةِ ذا الـعَـرُوسِ
بـه نِـلـت الـكـمـال عـلـى جُـنُـوسـي ... وربُّ الـعـرش أوْفَـى لـي مُـنـائِـي
وأفْـنَـى ذِلَّـتـي وأجـلَّ قَـدْرِي ... وقـوَّى هِـمَّـتـي وأعـزَّ أمـري
وأبْـدَلـنـي الـهـنـا مـن بـعـد صَـبْـرِي ... عـلـى مـا كـنـت فـيـه مـن الـعـنـاءِ
وسـلَّـمـنـي مـن الـمِـحَـنِ الـرَّدِيَّـة ... وأمـنـشـانِـي بـأعـضـاءٍ قـويَّـة
وجـمَّـلـنـي بـحـالاتٍ بـهِـيَّـة ... وكـمَّـل نـور عـيـنـي بـالـضـيّـاء
فـيـا ذا الـفـضـل يـا مـولـى الـعـطـايـا ... ويـا مـن فـضـلُـهُ عـمَّ الـبـرايـا
أقِـلْـنـي يـا كـريـمُ مـن الـخـطـايـا ... ومـن سُـوءِ الـرَّدى عَـجِّـل دَوائِـي
وآمِـنْ رَوْعَـتـي واغـفـر ذنـوبـي ... واكْـرِم شَـيْـبَـتـي واسـتُـرْ عـيـوبـي
وسـامِـحْ هَـفْـوَتـي وأزل خُـطُـوبـي ... إذا نُـصِـبَـتْ مـوازِيـنُ الـقـضـاءِ
وجُـدْ بـالـعـفـوِ والـغـفـران واسـمـح ... لـمـن فـي روضـة الأوزار يـمـرحْ
وأمْـسَـى راعـيـاً فـيـهـا وأصـبـحْ ... وضـيَّـع وقـتـه فـي الاجـتـراءِ
هـو الـعـبـدُ الـمُـنـاوي الـذَّلـيـلُ ... أسِـيـرُ الـذَّنـب مـوقِـفُـهُ طـويـلُ
ضـعـيـف الـقـلـب نـاصِـرُهُ قـلـيـلُ ... فـقـيـرُ الـحـالِ مـقـطـوعُ الـرَّجـاءِ

فبينما هم يسيرون إذ رأتهم في الطريق طائفةٌ يهودية، فأخبروا كبيرهم بما شاهدوه من الأمارات وإظلال الغمام، وقالوا: يا كبيرنا ظهر الذي دلَّت على أوصافه كُتُبنا القديمة المُوسوِيَّة، الذي يُبينُ الحق ويُخفي الباطل ويُظهر الإيمان والإسلام. فقال لهم كبيرهم: دُونكم فاقتلُوهم عن آخِرِهم. فبرزوا لقتالهم وسلُّوا سيوفهم المهنديَّة، فلما رأتهم حليمة بكت بكاء شديداً ونظرتْ إلى النبيِّ ﷺ تشكو له ما ستفعله الكَفَرَةُ اللِّئام، فتبسَّم ﷺ وهو بين يديها حتى بدت الأنوار من بين مباسمه السُّكرية، مُشيراً لها أن لا

تخافي ولا تحزني فلا بد لنا من النصر العزيز من عند الملك العلاَّم. فأرسل الله ناراً من السماء فأحرقتهم عن آخرهم بالكُليَّة، وحمى الله نبيَّهُ من أيدي الكفَّار أهل البغي والإجرام. فلما رأى زوجها كرامته قال: يا حليمة إن لهذا المولود شؤوناً شريفة عليَّة حيث لم يبلُغ الكفَّارُ ببركتِهِ منَّا المَرَام، يا حليمةُ احفظيه، فقالت: فداهُ روحي وأموالي وأولادي والأهليَّة ومسكنه فؤادي وهو قُرَّة عيني وبُغيتي ومُرادي من دونِ الأنام. ثم سارت حليمة مع رُفْقتها إلى أن وصلت إلى منازلها الوطنيَّة، فرأت بحار الخير تجري بين يديها ونبت بذْرُ الإنعام، وحلَّت بوادِيها البركات وأصبحت بلادُها آمنةٍ رخِيَّة، وذهب جَدْبُها وأخصب عَيْشُها وسَمِنَتْ إبلُها وامتلأت من اللَّبنِ ضُرُوع الأغنام، وكانت أخته من الرَّضاعة إذا حملته ومرَّت به على شجرة سلَّمت عليه وأرْخَتْ عليه أغصانها القُطُوفية، وإذا مرَّت به على حجرٍ قال: السلام عليك يا نُور الظلام. وقد ورد أن شبَابَهُ ﷺ في اليوم كشبَابِ الشهر لغيره من الذُّرية، فقام على قدميه في الشهر الثالث ومشى في الشهر الخامس وتكلَّم في التاسع بفصيح الكلام. ولما فُطِمَ من الرَّضاعة قال: «الله أكبر كبيراً والحمدُ لله كثيراً وسُبحان الله بُكْرةً وأصيلاً»، بفصيح العربية. فسُبحان من توَّجَهُ بتاجِ الكمالِ وألبسه لباسَ الجمال وألهمَهُ النُّطْق أعظمَ إلهام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة ... واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

يا سيِّدَ الكونين يا عَلَمَ الهُدى ... يا بدْرَ تِمٍّ في الوجود على المَدَى
يا خيرَ خلقِ الله يا مَنْ فيضُهُ ... عمَّ البرايا المُنتهى والمُبْتدى
يا كوكباً فاقَ البُدُور بحُسْنِهِ ... يا مُرْسَلاً بالحقِّ دَوْماً سَرْمدا
يا بَحْرَ عِلم الله يا كنز العطا ... يا دُرَّة الأكوان يا قَطْر النَّدى
يا ناصِرَ الدِّين القويم وأهله ... يا ساقي الكُفَّار كاسات الردَّى
يا رحمةً للعالمين وعِزَّهم ... يا غاية الآمالِ يا مُجْلي الصَّدا
بك نالَتِ الآفاقُ كل فضيلة ... وتشرَّفَتْ لمَّا جنابُكَ قد بدا
وتباشَرَتْ بالحمل آمنة الرِّضى ... وعَلَتْ مقاماً فاخِراً ومُمجَّدا
وكواكبُ الإشراق في أُفق الهنا ... طَلَعَتْ ومِصباحُ الكمَالِ توقَّدا
والطَّيْرُ سبَّح آمِناً مستبشراً ... بقدوم ذاتك يا حبيبُ وغرَّدا
وحليمةُ البركاتِ لَمَّا أقبلت ... ورأتْكَ كالبدرِ المُكَمَّل يا هُدَى
فَرِحَتْ وقبَّلَت الجبين وأنشدت ... بمقالةٍ فاقت بها من أنشدا

هـذا جـمـالُ الـكـون هـذا بـذْرُهُ ... هـذا الـذي مـنـه الـوجـود تـجـدَّدا
هـذا مُـرادي وهـو بَـهْـجَـةُ مُـهْـجَـتـي ... هـذا لِـخَـلْـقِ الـلَّـهِ يُـبـعـث مُـرْشِـدا
هـذا أمـانـي وهـو عـيـنُ رعـايـتـي ... هـذا حُـسـامـي طـاعِـنٌ عُـنـق الـعِـدا
هـذا حـيـاةُ الـقـلـبِ بـعـد مـمـاتِـهِ ... هـذا مـلـيـحُ الـوجـه هـذا الـمُـقـتـدى
هـذا مـلاذِي وهـو كَـهْـفُ حِـمـايـتـي ... هـذا مُـنـاي فـي الـعـشـيَّـة والـغُـدَى
هـذا نـبـيُّ الـلَّـهِ خـاتَـمُ رُسْـلِـهِ ... هـذا ضـيـا عـيـنـي وروحـي لـه الـفِـدا
هـذا غِـنـاي بـعـد فَـقـري لـيـس فـي ... قـلـبـي سِـواهُ ومـن لـه قـد أوجـدا
مُـذْ جـاءنـي نِـلْـتُ الـمُـنـى مِـنْ خـالِـقِـي ... وصَـفَـى لـيَ الـعـيـش الـهَـنِـيُّ وأرْغَـدا
يـا سـيِّـد الـسـاداتِ يـا بـابَ الـحِـمـى ... يـا مَـنْ غـداً لـلـخَـلْـقِ تـأتـي مُـنْـجِـدا
يـا قـائِـلاً ربِّـي دعَـوْتُـك أُمَّـتـي ... فـيُـجـابُ مـن ربِّ الـسـمـاواتِ الـنِّـدا
فـي خَـلْـقِـنـا اشْـفَـع يـا مـحـمـد إنـنـا ... بـالـحـقِّ لـم نُـخْـلِـف لأمْـرِك مـوعِـدا
انْـظُـر بـعـيـنِـك لـلـمُـنَـاوي إنَّـه ... فـي دائِـراتِ الـذُّلّ دومـاً سَـرْمـدا
وانْـقُـذه يـا مـخـتـار مـن غـفـلاتِـهِ ... وانـجِـدْهُ مـن بـحـر الـمـذلَّـة والـرَّدَى

ولما بلغ ﷺ من العمر عامين توجَّهت به حلِيمة إلى مكَّة وأعطته لأمه وأخبرتها بما رأته من أماراته الظاهريَّة، وحدَّثتها بما شاهدته من عجائبه التي لا تُدْركها الأفهام. فاستبشرت آمنة برؤيته وابتهجت بطلعته وأخلاقِهِ السنيَّة، وقبَّلته بين عينيه وضمَّته إلى صدرها. فيا أشفَقَ ضمٍّ ويا أبهَجَ انْضِمام، ثم خافت عليه من وباءِ مكَّة فأمَرَتها بالرجوع إلى المنازل السعديَّة، فرجعت حليمة به وقد هاج شوقُها بجمالِهِ وانتظم قلبها في محبته أحكم انتظام، وكان ﷺ وهو عند حليمة إذا خرج مع الصِّبيان تترقَّب مجيئه بأعينها البصريَّة، وتفرح بقدومه إذا قدِمَ وتبتسم في وجهه أحسن ابتسام. فسأل ذات يوم عن إخوَتِهِ فقالت: يا حبيبي خرجوا يَرْعُون أغنامنا المَقْنِيَّة، فقال: يا أُمَّاه دعيني أخرج معهم. فلما أصبح أخذ عصاه وتمنْطَقَ بالحِزام، فأوْصَتْ حليمة أولادها عليه وبالغت في الوصية. فأقام ﷺ نهارَهُ معهم وهم يَرْعُونَ الأغنام، فلما جاء الليل خرجت حليمة لملاقاتهم فرأته مُقْبِلاً والأنوارُ تتلألأ من طوالِعِهِ الجَبينيَّة، والأغنام حوله تلُوذُ به كالعرائِسِ وهي تشخُبُ لبناً طيِّبَ المذاقِ لذيذَ الطعام، فضَمَّته بين ثدييها وقالت له: يا حبيبي ما الذي غيَّبك عني، فحدَّثها أخوهُ بما رآهُ من أماراتِهِ الشهيريَّة وأخبرها بما شاهده من آياته التي لا تبلُغُ كُنهها ذَوُو الأفهام، وقال لها: يا أماه لما خرج معنا أخونا القُرشيُّ فما مررنا على شجرةٍ إلاَّ حيَّتْهُ بأحسنِ التحية، ولا مررنا على أرضٍ يابسةٍ إلاَّ اخضرَّتْ ولا بِئرٍ إلاَّ فاض ماؤُها ولا حجرٍ إلاَّ غاصَتْ فيه الأقدام، ومررنا يا أُمَّاهُ على وادٍ فيه

وحوشٌ كثيرة كاسِرِيَّة، فخرج علينا سَبُعٌ عظيم فلما رآه خضع له وحَوْل جنابِهِ الرَّفيع حام، وانكسرت شاةٌ فذهَبَتْ تعدُو إليه كأنها تشكو له ما أصابها من الوَجَع والبَلِيَّة، فوضع يده ﷺ على كَسْرِها فانجبر كأن لم يكن بها شيءٌ من الآلام فلما سمع أَبوه أخبارهُ العلِيَّة، قال: يا حليمة أنا لهذا المولود من جملة الخُدَّام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة   واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

وما زال ﷺ يخرج مع إخوته إلى المراعي كعادتِهِ الأصليَّة، وهم يرون له في كل يوم من الآيات ما لا تُحيطُ به عقول ولا تدركه أفهام، فجاءه ذات يوم من السماء ملَكانِ عليهما ثيابٌ بيضٌ نقيَّة، بوجوهٍ كالأقمار مُتَخَلِّقين بالأخلاقِ العِظَام، فأضْجَعَاهُ على الجبلِ وشقَّا صدرهُ وأزالا منه الحُظوظ الشيطانيَّة، وملآهُ من العِلْم واليقين والإيمانِ والإسلام، ثم شقَّا قلبه وأخرجاهُ وغَسَلاهُ بالثلج حتى صار جوهرَةً نقيَّة، ثم ردَّاهُ إلى مكانه وختما عليه بختام، ثم وزَنَاهُ فعدل جميع الخلائقِ الخيريَّة، ثم قبَّلاَهُ بين عينيه وقيل في رأسه وقالا له: ما عليك من خوفٍ بعد هذا يا باب الرِّضى والإكرام. فلما رأى أخُوهُ من الرَّضاعة ما حلَّ به ذهب يَعْدُو إلى أمِّهِ قائلاً لها: قُتِلَ أخُونا المنسوبُ إلى السَّادة القُرشية. فخرجت حليمة مُسْرعة ومعها جملة من الأقوام فلما وصلت إليه رأته فوق صخرة وعلامَةُ القَبُول على وجهه ظاهرة جلِيَّة، فضمَّته وقالت له: يا حبيبي ما الذي أصابك، فحدَّثها بما فعلَتْهُ به الملائكَةُ الكِرام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة   واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

فلما سمِع أبوهُ من الرَّضاعة منه مقالَتَهُ المَحْكِيَّة، أخذهُ من أجله شدائد الاغتمام، وقال لزوجته: اذهبي به إلى ديارنا الوطنية، قالت حليمة: فحملناه وجئنا به نحو الخيام، فلما رآه الناس قالوا: أصابه لَمَمٌ فاذهبوا به إلى كاهِنٍ يُداوِيهِ بحكمَتِهِ الحقيقية. فقال لهم رسول الله ﷺ: نفسي سليمة وفؤادي صحيحٌ ليس به سِقام. فغلَبُوا عليه في الأمر فتوجَّهت حليمة به إلى كاهن النصرانيَّة وأخبرته بخبره فقال: لا بدَّ أن أسمع منه الكلام. فتقدَّم إليه المصطفى ﷺ وأخبره بما فعلته به الملائكة الروحانية، فقبض الكاهن يده ووثب قائِماً على الأقدام ونادى بأعلى صوته: يا آل العرب يا آل العرب من شَرٍّ قد اقترَبَتْ ساعاته الوقتية. فلما اجتمعت عليه الناس قال لهم: اقتلوا هذا الغُلام فإنكم لو أبقيتُمُوهُ وأدرك مَدْرَكَ الرُّجولية ليُسَفِّهَنَّ أحلامكم وليُبدِّلَنَّ أديانكم وليُبْطلَنَّكم عبادة

الأصنام وليَدُلنَّكم على إلٰه لم تعرفوا له كيفيَّة، فإن أطعتمُوهُ أحَبَّكُمْ وإن خالفتموه جرَّد فيكم الحُسام. فتقدَّمت إليه حليمة وقبضت رسول الله ﷺ بهمَّتِها القويَّة وقالت له: اختَرْ لنفسك قاتِلاً نحن لا نقْتُل محمَّداً، وهَجَتْهُ بما يناسِبُ المقام. ثم احتملَتْهُ وانصرفَتْ به إلى الديار السَّعديَّة، وأخبرت زوجها بما قاله الراهب من سوءِ الكلام، فقال لها زوجها: اذهبي به إلى مكة المَحْمِيَّة وسلِّميهِ لأمِّه بمعايَنَةِ أكابِرِ الأقوام. فسارت به حليمة من غير أن تُسلِّم خواطِرُها السِّريَّة، حتى وصلت إلى نواحي مكة ذات المشاعِرِ العِظام، فأعطته لأُمِّه وكانت قبل ذلك على جنابِهِ الشَّريف حرِيصِيَّة، فقالت لها آمنة: ما الخبر عنه، فقالت: أدّيتُ خِدْمَتَهُ وجعلت أمرها على أمِّهِ في خفاءٍ وإبْهام. فلم تزل بها حتى أخبرتها خبره فقالت: أتتخوفين عليه من الشيطان، كلا والله ما للشيطان عليه سبيلٌ هذا ولدي محفوظٌ بعناية ربِّه دَعِيهِ وانطلِقي راضية مَرْضِيَّة. فرجعت حليمة من غيره باكية العين حزينة القلب شديدة الاغْتِمام، وقد ورد أنها أسلَمَتْ مع زوجها وأولادِها بالكُلِيَّة. وقد نظمهم في سِلْكِ الصَّحابةِ جمهورُ الكِرام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة　　واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

صَلُّوا على مَنْ جاءَنا　　بالحقِّ أظْهَرَ دِينَنَا
وأزالَ داجِيَةَ الخَنَا　　وبه الوُجُودُ ازَّيَّنَا
صلُّوا عليه وسَلِّموا　　في الخُلْدِ حقاً تُكْرَمُوا
بنعِيمِها تَتَنَعَّمُوا　　بِعَطِيَّةٍ من رَبِّنا
هو أحمدٌ بابُ الهُدَى　　ذُو المُعْجِزاتِ على المَدَى
وشَفِيعُنا جَمْعاً غدا　　بابُ الرِّضى وبحرُ الهنا
والآلِ ثمَّتَ صحبِهِ والتابعينَ وحزبِهِ　　العارفينَ بربِّهِ كَنْزِ المكَارِمِ والغِنَى
لمَّا حَلِيمةُ حقَّقتْ　　أنوارَهُ قد أشْرَقَتْ
فَرِحَتْ وقامَتْ عانَقَتْ　　خيرُ الأنام نَبِيِّنَا
وتقولُ قد زالَ العَنَا　　عنَّا وقد نِلْنا المُنَى
يا فَوْزَنا يا سَعْدَنا　　بمُحمَّدٍ طابَ الجَنَى
نُورُ الوجودِ المُصْطفى　　شمسُ البَهَا معنى الصَّفَا
كَنْزُ العطَا سِرُّ الوَفَا　　أضْحَى رَضِيعاً عندَنا
بُشْرَى لها قد أُسْعِدَتْ　　ومن المخاوِفِ أُبْعِدَتْ

إذْ مِـــن ألَـــسْـــتُ قــد أوْعِــدتْ بِـــرضـــاعِ أحـــمـــدَ خَـــيْـــرِنـــا
والـــلَّـــهُ شـــرَّفَ قـــدْرَهُ فـــيـــنـــا وأعـــلـــن فَـــخْـــرَهُ
يـــا صـــاحِ كـــرِّرْ ذِكْـــرَهُ فـــهَـــوَايَ أجْـــمَـــعُـــهُ هُـــنـــا
إنْ رُمْـــتَ ســـعـــداً لُـــذْ بـــه فـــالـــسَّـــعْـــدُ عِـــزُّ جـــنـــابِـــهِ
يـــا ربِّ اسْـــعِـــدْنَـــا بـــه يـــومَ الـــحِـــســـابِ بِـــجَـــمْـــعِـــنـــا
يـــا عـــالِـــمـــاً بِـــخَـــفِـــيَّـــتِـــي يـــا راحِـــمـــاً لِـــشَـــكِـــيَّـــتـــي
يـــا ســـامِـــعـــاً لـــمـــقـــالَـــتِـــي بـــالـــصَّـــالـــحـــاتِ اخْـــتِـــمْ لـــنـــا
فـــأنـــا الـــمُـــنـــاوِي خـــاضِـــعٌ فـــي بـــحـــر جـــودك طـــامِـــعٌ
يـــا مَـــنْ لـــقَـــوْلِـــيَ ســـامِـــعٌ يـــا رَبِّ آمِـــنْ خَـــوْفَـــنَـــا

ولمَّا بلغ ﷺ من العمر أربع سنين، خرجت به أمه لزيارة أخوالِهِ في المدينة اليثربيَّة، فأقامت عندهم جملة أيام ثم انصرفت به راجعة إلى مكَّة، فأدركتها في الطريق رُكبان المَنِيَّة، فنُقِلَتْ إلى رحمة الله التي وسِعَت كل شيء من خاصٍ وعام، وبكت الجِنُّ يوم وفاتها حتى سمعت الإنس أصواتهاالحزينة واشتدَّ بكاءُ الإنس عليها حتى ذابتِ القلوب والأجسام، ودُفِنت رضي الله تعالى عنها بالأبواءِ أو بالمقابر الحَجُونِيَّة، وقبرُها معروفٌ يُزار إلى الآن عليه المهابَةُ والقبولُ والرِّضوان والأنوارُ العِظام. فاحتملت به ﷺ أُمُّ أيمن بَرَكَة الحبشِيَّة، وأدخلته على جدِّه عبد المطلب، فلما رآه بادر له مُسرعاً بالقيام، فأخبرته بوفاة أمِّه فضمَّه إلى صدره وأخذه عليه أعظمُ شفقةٍ والدِيَّة وجعله في كفالته إلى أن بلغ من العمر ثمانية أعوام. ولما انفضت من جدِّه عبد المطلب أيام عُمْرِهِ الدُّنيويَّة ونزل به رَيْبُ المنُونِ وتوَلَّى أمْرَهُ المَلِكُ العلاَّم، تكفَّل بتربيته عمُّه أبو طالبٍ شقيق أبيه عبد الله أرْحاماً وصُلْبِيَّة، وذلك بوصيَّةٍ من جدِّهِ عبد المطلب قبل أن ينزل به رَكْبُ الحِمام. فجعله في حيِّهِ وربَّاهُ أحسن التَّربية، إلى أن بلغ من العمر عشر سنين وبعد عامين توجَّه به مُسافراً إلى الشَّام، فرآهُ بُحَيْرا الرَّاهِبُ فعرفَهُ بالعلاماتِ النَّبويَّة التي يعجزُ عن وصفها كل حَبْرٍ خبيرٍ من ذَوِي الأفهام، فرأى الأشجار سجدت والأحجارَ سلَّمت وغمامةً بيضاءَ قد أظلَّته في الأوقات الهَجِيريَّة، فدعاه لضيافَتِهِ وإكرامِ من معه من الأقوام، ثم وقف لتفقُّدَ الدَّاخِلين فلم يجد فيهم من له العلامات المعلومية، فقال: هل بقِي أحدٌ منكم يا ذوي الأحلام، فقالوا: بقيَ غُلام يتيمٌ تركناه للحراسة عند أمْتِعتنا الأحْمالية، فقال: لا تتمُ ضيافتنا إلاَّ بوجوده يا ذوي الإكرام. ثم خرج إليه وقبَّل الأرض بين يديه وقال له: يا حبيبي اذهب بنا إلى أماكِنِ ديرِنا المَبْنِيَّة، فلا تتمُّ ضيافَتُنا إلاَّ بوجودِكَ يا خير الأنام، ويقال: لما دخل ﷺ اخْضَرَّتِ الشجرة بدَيْرِ الرَّاهب وصح أنه ارتفع البابُ لئلا تَنْحَنِي قامَتُهُ الطويلة الحُسْنِيَّة، وقيل: خرج إليه رجلٌ منهم واحتضنه

وجاء به فلما رآه داخِلاً نهض له قائماً على الأقدام وقال: أشهد أن هذا الذي يفتحُ الله ببركَته مصر والشام والمدائِنِ العراقيَّة، أشهد أنَّ هذا رسول ربِّ العالمين وخيرُ الأنام، أشهد أن هذا الذي دلَّتِ الكُتُبُ القديمةُ على أوصافه السَّنِيَّة، وبين كَتِفَيْهِ خاتمُ النبوَّة قد غَمَرَهُ الله تعالى بالأنوارِ العِظام ثم قال لِعمِّه: ارجع به إلى مكة حذراً عليه من أهل المِلَّة اليهودية. فامتثل أبو طالب أمر الراهِبِ ونوى الرجوع إلى مكة ولَوَى نحوها الزِّمام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

وقد اشتهر ﷺ بالأمين لأمانته الصِّدْقيَّة، فسمعت خديجة بذلك فبعثت إليه خادماً من الخدَّام فلما حضر إليه أعطته مالها للتجارة وطلبت منه السفر إلى البلاد الشاميَّة، فخرج ﷺ مسافراً مع مَيْسَرَة الغلام، وأوصت خديجة مَيْسَرة عليه وبالغت في الوصيَّة، وأمرته أن يكون قائماً بخدمته حق القيام. ونزل ﷺ تحت شجرة ليستظلَّ بها فأظلَّتْهُ وأرْخَتْ عليه أغصانها الوارفيَّة، فرآه راهِبٌ من صومعته فعرفه لما مالت نحوه الشجرة وأظلَّه في الهجيرِ الغَمام، فسأل ميسرة عن أوصافٍ فيه، فأجاب بها وهي أوصاف نبويَّة، فقال له: هذا رسول الله لا تفارقه في غُدُوِّه ورواحِهِ واليقظةِ والمنام، هذا الذي ينزل عليه الوحي بالآيات الإلْهيَّة، وينشُر الله ذكره بين عباده وترتسم محبَّته في قلوب أحبابه أيّ ارتسام. ثم سار ﷺ مسافراً حتى دخل سوق المدينة البُصْروية، فقضى تجارته فيها وأخذ في الرُّجوع إلى مكة المُشَرَّفة ببيت الله الحرام. ولما أشرف على أماكن مكة أضاءت بأنواره شوارعها وأماكنها البهيَّة، فرأته خديجة مُقْبِلاً وبين يديه للهداية أعلام ثم رأت ملائكة قد أظلَّته من حرِّ الشمس في الأوقات الهَجِيريَّة، فهاج قلبها بمحبَّته وأقلقها شديدُ الوَجْدِ وفَرْطُ الغرام، فقالت لميسرة: ما رأيت منه في مساعِيكما السَّفَرِيَّة، فقال لها: يا سيدتي رأيت الأشجار سجدت والأحجار سلَّمت وأظلَّه في أوقاتِ القيظِ الغمام وأوصاني راهِبٌ من صومعته بعدم مفارقته في اللحظات الليليَّة والنهاريَّة، وأن أكون قائماً بخدمته وأتمَّ لها ما أوْدَعه الراهِبُ إليه حق إتمام فربحت تجارَتُها ونَمَتْ وظهرت فيها البركات الربَّانية، ورغِبَتْ في نكاحِهِ لما عايَنَتْ وسمعت في شأنه من مَيْسَرَة طيِّب الكلام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

ثم عرضَتْ نفسها عليه بالتَّزويج لتنال من مواهِبِهِ اللدُنيَّة وتلتمس من بركاته ما يكون

سبباً للفوز بدار المُقام، فظهر أمْرُها بين السادة القُرشية فقالوا: كيف ترضاه لنفسها وهو فقيرٌ مع أنه أسعدُ العربِ والأعجام، وقد خطبها قبل ذلك أكابِرُ مكة فلم ترض لسابق سعادتها الأزليَّة وقد رضِيَتْ به ﷺ أن يكون لها زوجاً. فيا نِعمَ الرضى ويا شرف الرَّاضية في الأبدِ على الدَّوام. ثم أخبر ﷺ أعمامه بما دعته إليه الكريمة النَّقِيَّة، فرغِبَ في ذلك الحمزة والعباس وفرِحَ فرحاً شديداً سائرُ الأعمام، فجمع أبو طالب رؤساء الحرمِ ودخلوا على أبيها خُوَيْلدٍ فخطبها إليه وخطب لهم خُطْبَة سَنِيَّة، تدلُّ على شرف أصُولهم ورِفعة مقدارهم الذي لا يُسام. ثم مدح ابن أخيه محمداً بالعِزِّ الأفخر والحظ الأوفر والخِصال المحمودة العلِيَّة، وأطال المدح فيه بالأقوالِ العِظام، ولا يخفاك أيُّها السامع أن أوصافه ﷺ لا تحصُرُها العقول ولا الإدراكات الفَهْميَّة، فلو كانت الأشجار أقلاماً والبحارُ مدَاداً وأهل السَّماوات والأرضين كُتَّاباً ما بلغوا من بعضِ صفاته إلا كخيال النَّجم في الماءِ في دُجَى الظلام. فزُوِّجها ﷺ فيا لها من زوجيَّة، ورُزِق منها بفاطمةَ وزينبَ ورُقيةَ وأمُّ كلثوم وعبدِ الله والقاسمِ الملقَّبِ بالألقابِ العِظام، ثم رزقَهُ الله بولدٍ آخر من مارِيَةَ القِبْطيَّة فسمَّاهُ المصطفى ﷺ باسم أبيهِ إبراهيم خليلِ الملكِ العَلاَّم، وهؤلاء السبعة يجب على المُكلَّف معرفتهم كما تجب معرفة أجدادِهِ النَّسَبِيَّة، فيا سعادة مَن عرفهم لأن معرفتهم من جملة شرائع الإسلام، وسنذكُرُ نَسَبَهُ إن شاءالله تعالى بعد هذا الباب تبرُّكاً بدُرَرِ جواهرِهِ النَّقِيَّة، فإنه نسَبٌ شريفٌ طاهِرٌ نُظِمَتْ دُرَرُهُ وجواهِرُهُ في أحسنِ سِلْكٍ أجلَّ انتظام، وكان عمرُهُ ﷺ حين تزوَّج بخديجة خمساً وعشرينَ سنةً هلاليَّة، وسنُّها أربعين بعد خمسٍ كما في نصوص الأفاضل الفِخَام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة   واغْـفِـرْ لـنـا ذُنُـوبـنـا والآثـامِ

* * *

وأما نسَبُهُ ﷺ فهو سلسلة ذهبية، جاءت بتوفيق الله تعالى في غاية الانتظام، فهو سيِّدنا محمد بن عبد الله الملقَّب بالذَّبيح كما وقع للحضرة الإسماعيلية، ابن عبد المطلب بن هاشم لكثرة نَحْرِهِ الإبل وهَشْمِها للأقوام، ابن عبد منافٍ بن قُصَيٍّ بن كِلابٍ ذي الهِمَّة والشجاعة القويَّة، ابن مُرَّة بن كَعْبٍ بن لُؤَيٍّ البطلِ الهُمام، ابن غالِبٍ بن فِهْرٍ وهو قُرَيْشٌ وإليه تنسب القبائل القُرْشية، ابن مالِكٍ بن النَّضْرِ بن كِنانة بن خُزَيمة الذي كان للعِدى أقوى خَزَّام[1]، ابن مُدْرِكة بن إلياسَ وكانت تُسْمعُ من النبيِّ ﷺ في صُلْبه أذكارُهُ التَّسبِيحيَّة، وهو أول مَن أهدى هداياهُ للبيت الحرامِ، ابن مُضَرَ بْنِ نزار بن مَعَدِّ بن

(١) خَزَمَ الشيء يَخزِمُهُ خزماً: شَكَّهُ. (لسان العرب).

عدنان، وهذه نِسْبَةٌ شريفةٌ صحيحةٌ مَرْوِيَّة ومن زاد على ذلك فقد كذب كما أخبر بذلك عليه الصلاة والسلام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة   واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

ولمَّا بلغ ﷺ من العمر خمساً وثلاثين سنة عدديَّة، بَنَتْ قُريش الكعبة لما صدَعَتْها السُّيول وآلتْ إلى الانهدام، وحصل بينهم ما حصل في رَفْعِ الحجر الأسودِ من المقالاتِ التَّبْرِيحيَّة، حتى تقوَّى بعضهم على بعضٍ بالمُقاتلة بنصْلِ الحُسام، ثم تراجعت الأمور وفوَّضُوا الأمر إلى من هو صاحب فَطَانَةٍ عقليَّة، وقالوا: إن أمَرَنا بأمرٍ اتَّبَعْناه وإن حكم بيننا بحُكم أطَعْنَاه وتلَقَّيناه بالقبُول والاستسلام. فأجمعوا على أنَّ أول داخِلٍ من باب بني شَيْبَة هو السيِّدُ على الجَمْعِيَّة، فكان ﷺ أول من دخل فقالوا: هذا محمد الأمين وقد رضِيناهُ حَكَماً ولا نِزاع ولا خِصام. فأخبروه بما أضمروه في سرائرهم الباطنية وأطلعُوهُ على ما كان في صدورهم من الإبهام، فصالحَهُم النبي ﷺ ثم وضعَ الحجر الأسودِ في ردائِهِ الشَّريف وأمَرَهُم أن يرفعُوهُ بين أيديهم بالسَّوِيَّة، ثم تناوله بيده الشريفة ووضعه في موضِعِه الذي تُقَبِّلُهُ الحُجَّاج فيه إلى الآن وتُحَيِّيهِ بالاسْتِلام، وقد بُنِيَ البيت قبل ذلك مراراً وأول من بناه الملائكة الروحانية، وكانوا يطوفون به كما رواه الفحول من العلماء الأعلام، ثم بناه بعدهم آدم أبو الخليقة البشريَّة، وكان يأتيه من الهند حافي الأقدام ثم بناه بعده إبراهيم خليل الحَضْرَة الصَّمدانية، وإسماعيل يَنْقِلُ الأحجار له حتى أتمَّا بناءه عليهما الصلاة والسلام، ثم العمالقة ثم جُرْهُمُ ثم قُصَيُّ بن كِلابٍ ثم بَنَتْهُ بعدهم قريشٌ والنبي ﷺ يحملُ الأحجار معهم على أكتافِهِ الشريفة العَلِيَّة، ثم بناه بعدهم عبد الله بن الزُّبير بن العوَّام، ثم بناه بعده الحجَّاج المنسوب إلى القبيلة الثَّقفيَّة، وهو البناءُ المعروف إلى الآن كما في نصوص الأماجِدِ الفِخام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة   واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

ولمَّا بلغ ﷺ من العمر أربعين سنة شرَّفَهُ الله تعالى بالرِّسالة العُمُومية، فعمَّت رسالته جميع الخلائِقِ من أهل النور وأهل الظَّلام، فرسالته لأهل السماوات على سبيل التَّشريف، ولأهل الأرض على سبيل التَّكليف، لأجل إظهار الشرائِعِ الدِّينية، وبيان الأحكام من الحلال والحرام. وكان بَدْءُ رسالته من الوَحْي الرُّؤْيا الصادقة في ضَجْعَتِهِ النَّومِيَّة، فكان لا يرى رُؤْيا إلاَّ جاءَت مثل فلقِ الصُّبح في غاية الإحكام، وكان ﷺ

يخرُجُ من مكة إلى غارِ حِراءٍ بقصْدِ العبادَة ويستقبلُ بوجهه القِبْلة القُدسية، إلى أن أتاه فيه صريح الحقِّ من المَلِكِ العلاَّم، فجاءه الأمين جبريلُ بالرسالة فقال له: اقرأ، فقال: ما أنا بقارىء. فغَطَّهُ ثم أرسله فقال له: اقرأ، فقال: ما أنا بقارىء، فغطَّهُ ثم أرسله فقال له: اقرأ، فقال: ما أنا بقارِىءٍ، إذ لا يَعْرِفُ هذه الكيفيَّة، فغَطَّهُ ثم أرسله فقال له: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العَلق: الآيات ١-٥] جلَّ من أنزل هذا الكلام. فرجع ﷺ إلى خديجة وفُؤادُهُ يرتَجِفُ من المهابَةِ الرَّوْعِيَّة، وقال: زمِّلوني زَمِّلُوني، ليذهب عنه ما به من الأوهام. ثم غاب الوَحْيُ عن رسول الله ﷺ حتى أنزل الله عزَّ وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾﴾ [المدَّثر: الآيات ١-٧] فتلقَّاها النبيُّ ﷺ من جبريل وبأعباءِ الرِّسالة قام.

تأمَّل حِراءً في جمال مُحَيَّاهُ ... فكم من أناسٍ من حُلَى حُسْنِهِ تاهُوا
فمما حَوَى من جالِعَلْيَاهُ زائِراً ... يُفَرَّجُ عنه الهَمُّ في حالِ مَرْقاهُ
به خَلْوَةُ الهادي الشَّفِيعِ محمَّدٍ ... وفيه له غارٌ له كان يَرْقاهُ
وقِبْلَتُهُ للقُدْسِ كانت بغارِهِ ... وفيه أتاهُ الوَحْيُ في حال صَبْرَاهُ
وفيه تَجلَّى الرُّوح بالموقِفِ الذي ... به اللَّهُ في وقتِ البداءَةِ سوَّاهُ
وتحت تُخُومِ الأرض في السَّبْعِ أصْلُهُ ... ومن بَعْدِ هذا اهتزَّ بالسُّفلِ أعلاهُ
ولما تجَلَّى اللَّهُ قُدِّسَ ذِكْرُهُ ... لِطُورٍ تشظَّى فهو إحدى شظاياهُ
ومنها ثَبِيرٌ ثم ثَوْرٌ بمكَّةٍ ... كذا قد أتى في نقلِ تاريخِ مَبْدَاهُ
وفي طَيْبَةٍ أيضاً ثلاثٌ فَعِدُّها ... فَعَيْراً وَورْقاناً وأحْداً رَوَيناهُ
ويُقْبَلُ فيه ساعة الطُّهْرِ من دعا ... به ويُنادَى من دعانا أجَبْنَاهُ
وفي أحدِ الأقوالِ في عَقْبَةٍ حِراً ... أتى ثمَّ قابيلٌ لهابيلَ غَشَّاهُ
ومما حَوَى سِرّاً حَوَتْهُ صخورُهُ ... من التِّبْرِ إكْسِيراً يُقامُ سَمِعناهُ
سمِعْتُ بها تسبيحها غير مرَّةٍ ... وأسْمَعْتُهُ جَمْعاً فقالوا سَمِعْناهُ
به مركزُ النُّورُ الإلٰهي مُثْبَتاً ... فللَّهِ ما أحْلى مقاماً بأعْلاهُ
فيا رَبِّ بالغُفْرانِ عجِّل وكن لنا ... رَحيماً وتُبْ وامْحُو جَنَى ما ارتكَبْنَاهُ
وهَبْ للمُناوِي ما تمنَّاهُ سيِّدي ... فأنتَ الذي للعَبْدِ تَسْتُرْ خطاياهُ

وأول من آمن به من الرجال أبو بكر صاحِبُ الخلافةِ الأوَّلية، فهو أولُ من ذاقَ حلاوة الإيمان وارتشف زُلال الإسلام، وأول من آمن به من النِّساء السيِّدة خديجة الكريمة السَّخِية، وهي التي أنفقت عليه مالها وعرضتْ عليه نفسها بالتَّزويج لما سَمِعَت

ما اشتهر في حقِّه عند قريش ورأت من الأمارات النبويَّة، والأمانة وصِدْقِ الكلام، وأول من آمن به من الصِّبيان عليّ صاحِبُ القوَّة العَلِيَّة، وهو الذي يُدْعى من بين الخُلفاء الرَّاشدِين بالإمام، وأول من آمن به من الموالي زيدٌ ومن الأرِقَّاءِ بلالٌ مَوْلَى الحَضْرَةِ الصِّدِّيقيَّة، وهو الذي كان يُؤذِّنُ للصلاة إذا حضر وقتُها ثم يشرعُ في المُعَقِّبات بعد السلام، ثم أسلم عثمان وغيره وصار الناس يدخلون في دِينِ الله فئةً بعد فِئةٍ هِداية ربَّانية، حتى كَثُر سوادُهُ وتزايدت الأقوام، ثم كمل الله له أعلى المراتب وجمَّلَهُ بأجمل المواهِبِ اللُّدنيَّة، وبرَّأهُ من كل عَيْبٍ وأرْهَبَ به أعداءَهُ وأيَّدَهُ بجنودِهِ وأنزل عليه سكِينته وكساهُ جلابِيبَ الاعتصامِ.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

وكان ﷺ يُخْفِي عبادة ربِّه ومن معه من الجماعة الصحابية حتى أنزل الله عليه: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحِجر: الآية ٩٤] فجهَرَ بما أُمِرَ به من تبليغ الأحكام، فكان يدور على الناس في منازلهم ويقول: يا أيها الناس إن الله يدعُوكم أن تعبدُوهُ ولا تُشْركوا معه أحداً في الألُوهية، وأبو لهبٍ وراءه يقول: يا أيها الناس إنَّ هذا يدعوكم أن تتركوا دين آبائكم وأجدادِكم وتذروا عبادَةَ الأصنام. وكانوا يترقَّبُونه إذا جاء لصلاته فيضحكون عليه ويستسخرون به لسوء سرائرِهِم القبيحيَّة، فنهاهُمْ أبو بكر عن ذلك فلم ينتهوا لما حَلّ بآذانهم وأبصارهم وبصائرهم من الصَّمم والعمى، فبِئْسَ القوم اللِّئَام، ورماهُ الوليد بن المُغِيرة هو ومن معه بالمقالات الباطِلة الزُّورِيَّة، ووصفوه بالشِّعْرِ والكِهانة والجُنون حيث لم ينظروا في العواقِبِ ولم يخشوا الملام. ولما جاء ﷺ للصَّلاة قام عُقبة بن أبي مُعَيْطٍ فلفّ ثوبه على رقبته وخنقه خَنْقاً شديداً، فأدركه أبو بكر بهِمَّتِهِ العَزْمِيَّة، فأخذ بمنكب الكافر ودفعه عن رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال: أتقتلون رجُلاً أن يقول ربي الله كما قال مؤمن العِصابة الفرعونية، فرضي الله تبارك وتعالى عن أبي بكر وأرضاهُ وجازاهُ بالمهابة والقبول والاحترام. ثم قال أبو جهل لمن حولَهُ: أتزعمون أن محمَّداً يأتي الكعبةَ ويُعَفِّرُ بتُرَابِها جبْهَتَهُ يا ذوي الحَمِيَّة، فأجابوه بنعم فقال: لو رأيتُهُ لآذَيْتُهُ وأسقَيْتُهُ شرابَ الحِمام. فلمَّا جاء ﷺ الكعبة قام أبو جهلٍ ليَقْضي منه ما أضمَرَهُ له في بواطِنِهِ الخبيثيَّة، فرأى حوله خندقاً من نار واحتجَبَ عنه رسول الله ﷺ بأجنحة الملائكة الكِرام، فرجع أبو جهل خائِباً خاسِراً وأخبر قومه بما رآهُ مُشاهدة عينيَّة، ولكن أعمى الله البصائِر فزاغَتْ عن الحق القلوب وغابَتِ الأفهام، وما زال في بَغْيِهِ وعِنادِهِ ومكائِدِه السُّوئيَّة إلى أن أوْرَد الله روحه ناراً ذات عذابٍ شديد وانتقام، وعاش ﷺ آمِناً مُطْمَئِناً في أعلى

درجاتِ الطبقات اللُّطْفِيَّة، عالي الجَنَابِ مُشرَّفاً بين الملوكِ والأقوام، ثم شرَّف الله حَمْزة بن عبد المطلب بانتظامه في سِمْطِ لآلىءِ المِلَّة الحنيفيَّة، فطهَّر الله قلبَهُ وهذَّبَهُ ونوَّرَهُ بدينِ الإسلامِ، وكان قد خرج للصيد فسَبَّ أبو جهل رسول الله ﷺ وتطاول عليه بكلِّ أذِيَّة، فسكت النبيُّ ﷺ ولم يرُدَّ عليه لِحُسْنِ أخلاقه العِظام، فسَمِعْتُه جارِيَةٌ فأخبرت حمزة بذلك فجاء وضرب أبا جهل على رأسه بالمِضْرَبَةِ القَوْسِيَّة، وقال: أتَشْتُمهُ وأنا على دِينِهِ أنا أقول كما يقول محمد وانتظم في سلك الهداية أبدع انتظام، ثم وفّق الله تعالى عمر بن الخطاب بدخولِهِ في شرَفِ الملَّةِ الإسلامية وكان إسلامُهُ بعد إسلام حَمزة بثلاثةِ أيام، وكان ﷺ يدعو الله في ذلك ودعْوَتُهُ إجابتها محقَّقةٌ مَقْضِيَّة، فكان يقول في دعائه: اللَّهم أعِزَّ الإسلام بأحَبِّ الرَّجُلين إليك عمر أو بأبي جهل بن هشام[1]. فاختار الله أبا حَفْصٍ لسابِقِ سعادته الأزليَّة، فلقَّبَهُ النبيُّ ﷺ بالفاروق لكونه فرق بين الحق والباطل فبيَّن الحق وأعلاهُ وخفضَ الباطِل وأخفاهُ وجعل أهلَهُ تحت مواطِىءِ الأقدام، وفي عاشِرِ البِعْثَةِ فارَقَ أبو طالب دُنياهُ الدَّنِيَّة، وانقَضَى أجَلُهُ ومضى زمَنُهُ وساوى من هلك في سالِفِ الأعْوام. ثم تُوُفِّيَتِ السيِّدة خديجة الكريمَةُ السَّخِيَّة أفاض الله على ضريحها من البركات وأمطَرَها هوامِعَ الرَّحماتِ وأسكنها دارَ السلام. ثم تزوَّج بعدها بعائشة البَكْرِيَّة، التي نزلت صورتُها له في منامِهِ في سَرَقَةٍ من حرير الجنَّة مع جبريل عليه السلام، وقال: يا رسول الله إنَّ الله يُقْرِئُكَ السلام ويخُصُّك بالإكرام والتحيَّة، ويقول لك: قد زوَّجْناك هذه البِكْرَ من فوق سَبْعِ سمواتٍ فتزوَّج بها أنت في الأرض يا سَمِيَّ الهِمَمِ وعليَّ المقام، فدعا ﷺ أبا بكر وأخبرهُ بالأخبار السَّماوِيَّة، فزوَّجَهُ بعائِشَة فهي زوجته في الدنيا ودار المُقام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

ولمَّا بلغ ﷺ إحدى وخمسين سنة دعاه مولاه إلى حضرته الرَّبانيَّة، وأرسل إليه جبريل فلاطَفَهُ في إيقاظِهِ من المنام، وقال له: قُمْ من منامِكَ يا مطلُوبَ الحَضْرَةِ الإلٰهيَّة، يدعُوك إلى قُرْبِهِ بارِىءُ الأنام، فقد هُيِّئَتْ لك المطالِبُ الإحسانِيَّة، وقد مُدَّتْ لك موائِدُ الإنعام، فلما انتبه ﷺ من منامِهِ أضْجَعَهُ جبريل بعد أن احتمَلَهُ مع ميكائِيل وإسرافيل من جانِبِ البيتِ إلى زمزم فشقَّ صدرَهُ وطهَّرَهُ بالمياهِ الزَّمزميَّة. ثم أودع فيه ما شاءَ الله وختم عليه بعدُ بختامٍ. ثم أتاهُ بالبُراقِ مُسْرجاً مُلْجَماً فاسْتَصْعَبَ كالحيواناتِ الشموسية، فقال

(١) رواه الحاكم في المستدرك، ذكر الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه، حديث رقم (٦١٢٩) [٣/ ٥٧٤]. والبزار في مسنده، مسند خباب بن الأرت، حديث رقم (٢١١٩) [٦/ ٥٧].

له جبريل: أما تستحي يا بُراقُ والله ما رَكِبَكَ خلقٌ أكرم على الله من محمد سيِّدِ الأنام. فاستحيا حتى ارْفَضَّ عرقاً ثم قرَّ حتى رَكِبَهُ فلما استوى على ظهره سوَّى إسرافيل أطراف ثيابه وأمسك جبريل رِكابَهُ وأخذ ميكائيل الزِمام، وعلا به الجبال على جِبالِ مكّة وصلّى بإشارةٍ من جبريل في الأماكِنِ الزكِيَّة، وعرضَتْ له في الطريق آياتٌ وأحوال عِظام. ولما وصل ﷺ بيت المقدس رأى الأنبياء جميعاً، فيا لها من جَمْعِيَّة بَهِيَّة، فأذَّن جبريل وصلّى نبيُّنا ﷺ ركعتين بالجميع إماماً، فيا نِعْمَ المأموم ويا نِعْمَ الإمام، ثم بعد الصلاة وثناء كل منهم على ربِّهِ بما هو أهلٌ له رقِيَ به جبريل إلى السماءِ الأولى فإذا فيها آدم بذاته البدريَّة، فسلَّم عليه فرحَّب به وردَّ عليه السلام، ورقِيَ به إلى الثانية فإذا فيها عيسى ابن مريَمَ النَّقِيَّة، وابنُ خالَتِهِ يَحْيى الذي أُوتِيَ في صِبَاهُ جميعَ الأحكام، ورَقِيَ به إلى الثالثة فإذا فيها يوسف بصفاتِهِ الحُسْنِيَّة، ورأى في الرابعة إدريس الذي رفعَهُ الله أعلى مقام، ورأى في الخامسة هارون الذي وصفَهُ الله في القرآنِ بالفصاحة اللِّسانيَّة، ورأى في السادسة موسى الذي شرَّف الله مسامِعَه بلذيذِ الكلام، ورأى في السابعة لإبراهيم عند باب الجنَّة الفِرْدَوْسيَّة، فسلَّم عليه فردَّ ورحَّب به وقال له: يا محمد أبْلِغ أُمَّتَكَ منِّي السلام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة   واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

ولمَّا وصل ﷺ إلى سِدْرَةِ المنتهى ورأى الجنة والنار بأعْيُنِهِ الرَّأسِيَّة، غشِيَتْهُ سحابة فيها من كل لونٍ فتأخَّر جبريل ثم عُرِجَ به حتى ظهر لمُسْتوىً سمع فيه صرِيفَ الأقلام، فتجلَّى عليه ربُّ العزَّة وحيَّاهُ وقال: سل يا محمد تُعْطَ كل عَطِيَّة. فما زال الحبيب يسأل والكريم يُجيبه حتى أرضاه وبلَّغه فوق ما رام، ثم فرض عليه وعلى أمته في اليوم والليلة خمسين صلاة أدائيَّة، فرجع وأخبر موسى بذلك فقال له: ارجع وسلِ التَّخفيف فإن أمَّتك أقْصَرُ الأمم أعماراً وأقلُّها أعمالاً وأضعفها في الأجسام. فرجع وسأل التَّخفيف حتى جعلها خمساً في العمل وخمسين في الفضل والأجريَّة، ثم هبط إلى بيت المقدس فركب بُرَاقَهُ وجاء مكة والليل شديد الظلام. ولما أصبح حدَّث الناس بما عايَنَهُ في الليلة المِعْراجيَّة، فمنهم من صدَّقَ ومنهم من كذَّبَ ورجع عن الإسلام، فالمُصَدِّقون وأوَّلهم أبو بكر فازوا بالنِّعمة والسعادة الأبدية، والمُكَذِّبون وأولهم أبو جهلٍ باؤوا بالخيْبَة والحَسْرة والندامة وأسباب الانتقام، ثم سألوه عن بيت المقدس فأجابهم بأوصافه الحقيقية، وأخبرهم بوقت مجيء عِيرِهِم فجاءت كما أخبر عليه أفضلُ الصلاة والسَّلام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة   واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

ولمَّا بلَّغ ﷺ ما أَمَرَهُ به مولاه من القواعد الدِّينية وأظهر الأحكام وحظر الحرام وعمَّ بالإنعام، اجتمعت قريش بدار النَّدْوة وعقدُوا لهم على قتله جَمْعِيّة، وكان أبو جهلٍ هو المشير عليهم في هذا الكلام، فنزل جبريل على النبيِّ ﷺ وأخبره بأخبارهم القبيحة الضلاليَّة، وأمره بالهِجْرَة فخرج ليلاً والناس في مضاجِعهم نيام، فرأى الكفار مُجْتَمعين ببابه فوضع على رأس كل واحدٍ منهم قَبْضَة تُرابِيَّة، ولم يُحَصِّلوا والله في ليلتهم إلاَّ السَّهر والقِيام. وما زال عليه الصلاة والسلام يسير وقد فاز أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالصُّحْبة والمَعِيَّة، إلى أن دخلا غار ثَوْرٍ فكان لهما مأوى وسِتْراً من عيونِ اللِئام، ولما أصبح الله بالصَّباحِ وأضاءَ بالأنوار الفَجْرِيَّة، خرج الكُفَّار يَقْتَفُونَ أثَرَهُ في الجبال والآكام، فلما دنوا من الغارِ بَكَى الصِّدِّيق فقال له الرَّسول ﷺ: لا تحزن إنَّ الله معنا بعنايَتِهِ القويَّة. فأنبت الله تعالى بباب الغارِ شجرةً ونسج العنكبوت على بابه بيتاً وباضَ الحمام، فقال بعضهم لبعض: هذا الغارُ أقدم من ميلاد محمَّدٍ وقد خابَتْ معالمهم الإدراكِيَّة، فرجعوا وقد كلَّت منهم الأسماع والأبصار واختلَّتِ الأفهام، ومكثَ ﷺ بالغار هو وصاحبُهُ سوِيَّة، ثم خرجا منه بعد أن أقاما ثلاثة أيام فأدْركهما سُراقة في الطريق حتى كان بينه وبينهما مقدارُ رُمْحَين أو ثلاثة فتضرَّع النبيُّ ﷺ إلى رَبِّه فساخَتْ قوائِمُ فرَسِهِ في الأرض حتى بلَغَتِ الرُّكْبَتين وكانت الأرض صُلْبَة قويَّة، فاستغاث برسول الله ﷺ فأغاثه ولولا ذلك لبَقِي إلى يوم الزِّحام ثم انصرف ﷺ إلى المدينة اليَثْرِبيَّة، فبنى بها مسجده الشريف وأسس قواعد الإسلام، وصار له أهلها أنصاراً وأعواناً وألَّف الله بين قلوبهم فأصبحوا إخواناً بنعمته الإحسانيَّة. وأقام ﷺ بالمدينة فكانت مَعْقِلَهُ حَيّاً ومأواهُ مَيِّتاً إلى يومِ القيامة.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة   واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

صَلاةُ اللَّهِ عالْمُخْتَارْ   إمامُ الأنْبِيا الأبْرارْ
وقُدْوَةُ الأصْفِيا الأخْيَارُ   مُحَمَّدُ كامِلِ الأنْوَار
وتَسْلِيمٌ من الوَهَّابْ   على طَهَ النَّبِي الأوَّاب
وجَمْعِ الآلِ والأصحابْ   مع الأزواجِ والأنْصارْ
محَمَّدُ صَفْوَةِ البارِي   ونُورُهُ في الوَرَى سارِي

وَمَــدْحُــهُ شَــرّفَ أفــكــارِي فُــؤَادِي مِــن غَــرَامُــهُ نــارْ
وحُــبُّ الــبَــدْرِ فــي قــلــبــي نَــبِــيــنَــا الــمُــصْــطــفــى حِــبِّــي
عــسَــى يــدْنُــو لــه قُــرْبِــي وأتَــمــتَّــعْ بــتــلــكَ الــدَّارْ
عــســى أدْنُــو لــســاحَــتِــهِ وأتَــبَــرَّكْ بِــحُــجْــرَتِــهِ
وأنْــظُــرْ حُــسْــنَ رَوْضــتِــهِ وأشــهَــدْ هــذه الأقــطــارْ
أقُــولُ لــقــلــبــي اتْــمَــلَّــى فــهــذا الــسَّــيِّــدُ الأعْــلَــى
مــحــمَّــدُ صَــفْــوَةُ الــمَــوْلَــى ومِــنْ نُــورِهِ جــمــيــعُ الأنــوارْ
ويــا رُوحِــي فــمــا أهْــنَــاكِــي بــهــذا الــبــدْرِ بُــشْــرَاكِــي
فَــذَا الــمــخــتــارِ مَــوْلاكــي لــخِــدْمَــتِــهِ سَــعَــتْ الأشــجــارْ
ويــا نــفْــسِــي بِــذَا فَــرَحِــكْ بــه رَبُّ الــعــبــادْ صَــلَــحِــكْ
فَــزِيــدي واكْــثِــري مَــدْحِــكْ عــســى يَــشــفــع لــكي مِــنَ الــنَّــارْ
ويــا جِــسْــمــي فَــقِــفْ بــالــبَــابْ وضَــعْ خــدَّكَ عــلــى الأعْــتــابْ
فــهــذا ســيِّــدُ الأحْــبــابْ مــحــمَّــدُ ســيِّــدُ الأبْــرارْ
يــقُــولُ الــقــلــبُ يــا سَــعْــدِي بــحَــضْــرَتِــهِ ويــا مَــجْــدِي
بــلَــغْــتُ مِــنَ الــحــبــيــبْ قَــصْــدِي ونــارَتْ لــي بــه الأفــكــارْ
تــقُــولُ الــرُّوحُ لــي الــبُــشْــرَى فــي دُنــيــانــا وفــي الأُخْــرى
لــنــا بــيــنَ الأُمَــمْ ذِكْــرَى بِــعُــمــدتــنــا نَــبِــي الــغــفَّــارْ
تــقُــولُ الــنَّــفْــسُ يــا شَــرَفــي بــه دُنْــيــا ويــا تُــحَــفِــي
فــذا شــوقــي ومُــؤْتَــلَــفِــي وعِــزِّي بــاطِــنــاً وَجْــهَــارْ
يــقــولُ الــجِــســم طــابْ أُنْــســي بــطَــهَ الــمــصــطــفــى الــقُــدْسِــي
فــلــو أُلْــقــيــتُ فــي رَمْــسِــي لــمــا مِــلْــتُ عَــنِ الــمُــخــتــار
شُــغِــفْــتُ بــحُــبِّ هــادِيــنــا رسُــول الــلَّــهِ مُــهْــدِيــنــا
غَــدَاً فــي الــحَــشْــرِ يــأتِــيــنــا وحــولُــه الــسَّــادة الأخْــيــارْ
غــداً يــأتــي ويَــتْــبَــخْــتَــرْ بــوَجْــهِ نَــيِّــرِ أزْهَــرْ
بــه يَــسْــتــأنِــسُ الــمَــحْــشَــرْ ويُــرفــع كَــرْبُــهُ والــعــارْ
غــداً يــأتــي لــنــا واكِــبْ عــلــى ظــهْــرِ الــبُــراقْ راكِــبْ
مــحــمَّــد صَــفْــوةُ الــغــالِــبْ وحــولُــه الــسَّــادةُ الأقــمــارْ
بــه يــا رَبِّ عــامِــلْــنــا وبــالإحــســانِ واصِــلْــنــا

وقَـرِّبـنـا وأدخِـلْـنـا حِـمـاهُ واسْـدِلِ الأسْـتـارْ
وَجُـدْ بـالـعَـفْـوِ لـلـعـبـدِ مُـنَـاوِي الـخـائِـفِ الـرَّدِّ
وبـلِّـغـه إلـى الـقَـصـدِ وسـلِّـمْـهُ مِـنَ الأشـرارْ

وأمَّا معجزاته ﷺ التي خُصَّ بها في حياته الدُّنيوية وإن شاركه في بعضها بعض الأنبياء والمُرسلين الكرام، فمنها تسبيح الحصى في كفِّهِ بألفاظ عربيَّة، وكلامُ الضَّبِّ له في مجلسه مع أصحابه الأعلام، ومنها انشقاقُ القمر فَلْقَتَيْنِ ونُزُولُ الآياتِ القرآنية، وعَوْدُ الشمس بعد غروبها حتى عمَّتْ أنوارُها سائر الأنام، ومنها حنين الجِذعِ على فِراقِهِ لما خَطَبَ على غيره الخُطْبة الجُمْعِيَّة، وانفجار الماءِ من بين أصابعه حتى ارْتَوى وتوضَّأ منه سائِرُ الأقوام، ومنها تَفْلُهُ في المياه المالِحَة فأضْحَتْ عَذْبَةً زُلاليَّة وتَفْلُهُ ﷺ في عيني عليٍّ وقتادة فبَرِئَتا من الآلام، ومنها تزيين الأرض التي مشى عليها بأقدامه بحُلَلِ النَّباتِ السُّندسية، وتكثير القليل بين يديه وظهورُهُ وتسبيح الطعام، ومنها إظلالُ الغمامِ له في الأوقات الحَرِيَّة، وظهور آثار مَشْيِهِ في صُمِّ الجبال وإحْياء شاةِ جابرٍ بعدما ذُبِحَتْ وطُبِخَتْ وشهادة الغُلام، وكان لا يقع الذُّبابُ على جسده الشريف قامَتُهُ بَهِيَّة، ولا يُرَى له خيالٌ في الشمس والقمر ويساوي إذا ماشى الطويل من الأقوام، ومنها أن الأمين جبريل أتاهُ بالبُراقِ مُسْرَجاً مُلْجماً ليلة إسرائه ورُؤْيته للذَّاتِ الأقدسية، ورَكِبَتْهُ الأنبياء قبله بلا سَرجٍ ولا لِجام، وفي هذا القدر كفاية مرضيَّة فإنَّ معجزاته ﷺ كثيرة لا تحصى ولا يُحيطُ بها إلاَّ المَلِكُ العلاَّم.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة واغْـفِـرْ لـنـا ذُنُـوبـنـا والآثـامِ

* * *

وأما ما كان عليه من كمالاتِهِ وأخلاقه الحميدة الزكيَّة، كما رأيته مُسَطَّراً عن العلماء الأعلام، فكان ﷺ محفوفاً بالهِدَاية محروساً بالعناية محفوظاً من كل أذيَّة، مشهور الفضائل مذكوراً في المحافل مرفوعاً لواءُ عِزِّهِ منشور الأعلام، عارِفاً بربِّه مُتَوكِّلاً عليه في حوائِجِهِ الكُلِيَّة، صادِقاً في أقواله مُخْلِصاً في أفعاله قائِماً بالعبادة لرَبِّه حق القيام، زاهِداً في دُنياهُ راغِباً في الدار الأخْرَوِيَّة، ساعِياً في مصالح أهله واصِلاً للأرحام، عظيم القناعة إذا اشتدَّ به سلطان الجوع تكفيه اللُّقمة الطعاميَّة، ماشِياً مع الأرامِل قاضياً حوائِجَ الأيتام، عَفُوّاً عَنْ مَنْ أساءَهُ صفُوحاً عن من ظلمه رؤُوفاً بأمَّته تأخذُهُ عليهم شفقتُهُ القلبيَّة، مُجيباً للإماءِ صابِراً على البلاءِ والخطوبِ العِظام، عفيفَ النفس لا يسألُ أحداً من خلق الله حاجة من حوائجِهِ الضروريَّة، دائِمَ الحمْدِ والشكر إن وجد شيئاً أكله وإن لم يجد شيئاً نَوَى الصِّيام، خافِضَ الجَناحِ للفُقراء والمساكين

والجماعة الصَّحابية، هَيِّنَ الجانِب ليِّناً ليس بِفَظٍّ ولا غليظٍ ولا مُخْتالٍ ولا نمَّام، ماشياً خلف أصحابه قائلاً: خَلُّوا ظهري للملائكة الرحمانية، آمِراً بالمعروف ناهِياً عن المُنكر لا يُنْطَقُ في مجلسِهِ إلاَّ بصدق الكلام، عاصِباً من الجوع بالحجر أمعاءَهُ الأحشائيَّة، وبين يديه مفاتيح خزائِنِ الأرض بما فيها من الأنعام، وراوَدَتْهُ الجبال أن تكون له ذهباً فلم ترضَ نفسُه الأبيّة بل رَضِيَ حالته التي هو بها عليه الصلاة والسلام، كامِلَ الآداب إذا مشى في أماكن المدينة البهِيَّة، مَشْدُوداً بالمِئْزَرِ مُرْخِياً على وجهه اللِّثَام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

هذا ولمَّا أكمل الله تعالى لنا دِيننا وأتمَّ علينا نِعْمته الإفضاليَّة أراد تعالى أن ينقله إلى حظيرة قُدْسه ليُكمِّل شرفه عليه الصلاة والسلام فأنزل تعالى عليه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر: الآية ١] إلى آخرها لِنَعيْ نفسه الزكيَّة، فعندما قال عليه الصَّلاة والسلام: نُعِيَتْ إليَّ نفسي. وأكثر من التَّسبيح والتَّمجيد والاستغفار واستعدَّ للنُّقلة فعاش بعدها على احدى الروايات أحداً وثمانين من الأيام، وكان ابتداءُ مَرَضه في أواخر صفرٍ ومدَّتُه ثلاثة عشر يوماً على المشهور من الأقوال المرويَّة. وقد رُوي أنَّه لما اشتدَّ كَرْبُهُ وتزايدت به الآلام خرج ﷺ على أصحابه حتى صعد المَرَاقي المِنْبَريَّة، وودَّعهم كما يُوَدِّعُ الوالِدُ أولادَهُ وعرَّضَ باختياره لِقاء الله تعالى، فهاجت قلوبُ أهل الإسلام، ونزل عليه جبريل بأمْرِ عالِمِ الخَفِيَّة، وقال له: يا محمد إنَّ السلام يُقْرِئك السلام ويسألك عمَّا هو أعلم به من أحوالِكَ المَرْضِيَّة، يقول: كيف تجِدُكَ، فأجابه ﷺ عن هذا السؤال والاستفهام بقوله: أجِدُني يا جبريل مَغْمُوماً وأجِدُني يا جبريل مَكْروباً، لكثرة ما به من مقدَّماتِ ركائِبِ المَنِيَّة، ليبلُغَ من المقامات الرَّبانية أعلى مقام، وما زال جبريل عليه السلام يعودُهُ لمؤانسَتِهِ التَّوْدِيعية إلى أن حان الوقت الذي لعظِيم مُصِيَبتِهِ تكاد أن تذوبَ القلوبُ وتُفارِقَ الأرواحُ الأجسامَ. فنزل عليه الملك المُوَكَّل بقبض أرواح الخلائق الوجودية، فوقف بالباب مستأذِناً فقال جبريل: يا محمد هذا مَلَكُ الموتِ يستأذِنُ عليك ولم يستأذِنْ على آدميٍّ قبلك ولا يستأذن على آدميٍّ بعدك إلى يوم القيام، فأذِنَ له فدخل وبدأ المصطفى ﷺ بالتحِيَّة، وقال: يا رسول الله إنَّ الله عزَّ وجل أرْسلني إليك وأمرني أن أُطِيعك في كل ما تأمُرُ، إن أمَرْتَنِي أن أقْبِضَ روحك قبضتُها وإن أمَرْتَني أن أتْرُكها تركتُها يا نُورَ الظَّلام. فقال ﷺ: امْضِ لما أُمِرْتَ به من قَبْضِ روحي إن شئت فإني اخترتُ لقاءَ ربِّ العِزَّة الأبديَّة. فقال جبريل: يا رسول الله هذا آخِرُ مَوْطِيءٍ من الأرض إنما كنتُ حاجتي من الدُّنيا يا غايةَ المَرَام.

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة   واغْـفِـرْ لـنـا ذُنُـوبـنـا والآثـامِ

* * *

ولما شرع ملك الموت في قبض روحه الزكية، أخذ جبينُهُ في العَرَقِ من شدَّة الآلام، فقال: باسم الله بأعلى فصاحةٍ لسانيَّة، وثنَّى بالحمد لله لأنه قادِمٌ على أجَلِّ منزلةٍ وأعزِّ مقام، ولما نزلت به الغمرات وأخذته السَّكراتُ الكَرْبِيَّة، قالت فاطمة رضي الله عنها: واكَرْبَ أبتَاهْ، فقال لها عليه السلام: لا كَرْبَ على أبِيكِ بعد اليوم. هكذا رواه البُخاري القُدْوة الإمام، وكان فوق رأسِهِ قدحٌ فيه ماءٌ فكان يأخُذُ منه بيدِهِ الشريفة ويمسح جبهته الوَضِيئَة، وهو يتألَّمُ ممَّا حلَّ به من الخُطُوب الجِسام، ثم جعل يقول: اللَّهُمَّ الرَّفيق الأعلى. فهو آخر كلام قاله في هذه الدَّار الدُّنيوية، إلى أن انقضى ما كان ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمٰن: الآيتان ٢٦،٢٧] وذلك في يوم الاثنين، فحَلَّ بالمسلمين ما حلَّ من الكُرُوبات التي تعجزُ الأقلام عن أن تضبُط لها كيفيَّة، وماج الناس بعضهم في بعض فمنهم من غابَ ومنهم من أُغمِيَ عليه ومنهم من أُخرِسَ ومنهم من أُقْعِدَ فلم يستطِع القيام، وكان أجزعُ الناس كُلِّهم عمر بن الخطاب، فأخذ بقائِمِ سَيْفِهِ وقال: لا أسمَعُ أحداً يقولُ ماتَ رسول الله ﷺ إلاَّ ضَرَبْتُهُ بسيفي هذا. فيا لها من مصيبة وكُرْبَةٍ وبَلِيَّة، رُشِقَتْ نبالُها بصميم أفْئِدة أهل الإسلام، فطلب الناسُ أبا بكرٍ رضي الله تعالى عنه، وكان غائباً، فأقبل وعيناهُ تَهْمُلانِ وزفراتُهُ تتردَّد وقد ثبَّتَهُ الله تعالى وكَم لله من عناية ربانيَّة، فدخل على النبيِّ ﷺ فأكَبَّ عليه وكشفَ الثوبَ عن وجههِ وقَبَّلَهُ وقال: طِبْتَ حيّاً وميّتاً وانقطع لموتِك ما لم ينقطع لموت أحدٍ من الأنبياء قبلك وجلَّ مقامُك عن أن تُدْرِكَهُ الأفهام. ثم سجَّاهُ وخرج من عنده ﷺ وعمرُ يُكلِّم الناس يقول لهم: لم يمت خَيْرُ البَرِيَّة، فقال أبو بكرٍ: اجلس يا عمر، فأبى أن يجلس لما حصل له من الدَّهْشة والحُزن واستمر على القيام، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر فقال: أما بعد، من كان يعبُدُ محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبُدُ الله فإنَّ الله حَيٌّ لايموت. بعد أن تشهَّد وأثنى على الله تعالى بكل مَزِيَّة، ثم قرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٤٤] الآية، فكأنَّ الناس لم يعلمُوها حتى تلاها أبو بكر فتلقَّاها الناس منه كلُّهم على التَّمام. ثم أمر بتجهيزه فشرَعُوا في تجهيزه مع الملائكة الروحانية، فغسَّلَهُ عليٌّ في قميصه والعباس وابنُهُ الفضل يُعِينانه وقُثَمُ وأسامة وشُقْرَانُ مولاه ﷺ يصُبُّون الماء وأعينهم معصوبة من وراءِ السِّتر وهم في غاية الاغتمام، ثم كفَّنوه في ثلاثة أثوابٍ بيضٍ سَحُولية، وصلَّت عليه الرجال فُرادَى بعد أن صلَّتْ عليه ملائكة المَلكِ العلاَّم، ثم صلَّتْ عليه النِّساءُ والصبيان بوصِيَّةٍ منه في حياتِهِ الدُّنيوية، ودُفِنَ في موضع ما قُبض ﷺ ثم أحياهُ الله تعالى في قبره وتُعْرَضُ عليه أعمالنا صالِحَةً وخبيثة،

فيفْرَحُ بالصالحة ويستغفر للمُسِيء على الدوام، فجزاهُ الله عن المسلمين خيراً فهو الرَّحمة العمومية، وأدخلنا جميعاً في شفاعته وسقانا من حَوْضِهِ ومتَّعنا برُؤْيته في دارِ السَّلام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

* * *

أمَّا فضائله ﷺ بعد مفارقتِهِ الحياة الدُّنيوية، فهي كثيرة جلَّتْ أن تَحْصُرها الأقلام، ولكن نُورِدُ نُبْذة منها تبرُّكاً بذكرِ مفاخِرِه العِطريَّة، ورجاء أن ننتظم في سِلْكِ مُحِبِّيه عليه الصلاة والسلام، فنقول: قد رُوِي أنه حين يَنْفُخُ إسرافيل في الصُّور نفخة القِيام يُرْسل الله تبارك وتعالى جبريل وميكائيل بالحُلَّةِ والبُراقِ إلى حَضْرَته المحمديَّة، فيقفانِ عند قبرِهِ الشريف ويُنادي جبريل: يا طَه السَّلام، فينتَبِهُ المصطفى ﷺ من رَوْضَتِهِ يَنْفُضُ التُّراب عن رأسِهِ الشريف فيُصافِحُهُ جبريل ويبدؤُهُ ميكائيل بالتَّحِيَّة، فيقول: يا جبريل بَشِّرْني، فيقول: يا محمد قد تزيَّنَتْ لقدومِكَ الجِنان الفِردوسيَّة وتَبَخْتَرت للقائِكَ الحُورُ والوِلدان العِظام، فيقول: لستُ عن هذا أسألُ أين أُمَّتي يا جبريل، فيقول: يا محمد ما انْشَقَّتِ الأرضُ عن أحدٍ قبلك من الخلائِقِ القَبْليَّة والبَعْدِيَّة، بل أنت أولُ من ظهر وأول من يَشفعُ وأول من يَقْرَعُ باب الجنَّة يا بَدْرَ التَّمام. ثم يجمع الله تعالى الأولين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ وتحيط بهم صفوف الملائكة السماويَّة، فيتجلَّى المولى للمؤمنين تجلي رحمةٍ وللكافرين تجَلِّي غضبٍ وانتقام، فيتقدَّمُ المصطفى ﷺ ويخرُّ ساجِداً تحت العرش وهو يحمدُ ربَّهُ بمحامِدٍ سَنِيَّة ويقول في سجودِهِ: أُمَّتي أُمَّتي سَلِّمْها ونَجِّها يا ذا الجلالِ والإكرام. فيُنادى: يا محمد ارفع رأسك وسَلْ تُعْطَ واشْفَعْ تُشَفَّعْ يا كامِلَ المَزِيَّة. فيشفَعُ ﷺ في فصلِ القضاءِ فتنصرِف الكفَّار إلى النَّار والمسلمون إلى دار السلام، فيقول الله: مرحباً بعبادي وزُوَّاري قد أعطيتُكُمْ يا عبادي أوْفَرَ عَطِيَّة، أنتم ضيوفي وجيراني وخِيرَتي من خَلْقِي أبحْتُكم رِضاي وأسكنتكم دار السَّلام. فيسكُنُونَ قصوراً مُشْرِفةً عليَّة، ويأكلون ويشربون ويتنعَّمُونَ بغايَةِ الإنْعام، ويتفكَّهُونَ ويلبَسُون ثياباً خُضْراً سُنْدُسيَّة، مُتَّكِئين فيها على الأرائِكِ لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ولا نَصَباً ولا لُغُوباً ولا لَوْمَ لُوَّام، ويطوفُ عليهم ولدَانٌ مُخَلَّدون بأكوابٍ وأبارِيقَ جواهِرُها نَقِيَّة، يُسْقَون فيها من رحيقٍ مختومٍ خِتامُهُ مسْكٌ فيا نِعْمَ الشرابُ ويا حُسْنَ الخِتَام.

هذا ونسأل الله تعالى أن يختِمَ لنا ولكم ولوالدينا ووالِدَيْكُم ولسائِرِ المسلمين بخاتِمَةِ السَّعادة الأبديَّة ويُسْكِنَنَا جوارَهُ في دارِ السَّلام.

* * *

اللَّهُمَّ عَطِّرْ قَبْرَهُ بالتَّعظيم والتَّحيَّة واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا والآثامِ

اللَّهُمَّ يا عالِمَ الأسرار الخفيَّة، يا من أحاطَ عِلْمُهُ بالليالي والأيام، يا من السَّماءُ بقُدْرتِهِ مَبْنِيَّة، يا من لا يغفل أبداً ولا ينام، يا من الأرضُ بحِكْمتِهِ مَدْحِيَّة، يا من لا يفتقِرُ لمخْلُوقٍ بل بنفسه القديمةِ قام، يا من حوائِجُ خَلْقِهِ عنده مَقْضِيَّة، يا من لا يُخَيِّب من قصدَهُ بل يُعْطِيهِ فوق ما رَام، يا من افتقَرتِ الخلائقُ إلى ذاتِهِ الأَحَدِيَّة، وهو سبحانه وتعالى عزيزٌ ومن استعَزَّ بعِزِّه لا يُضام، يا من تفرَّد بالإيجادِ والمِنن والعَطِيَّة وشَمِلَ إحسانُهُ جميع الأنام، نسألُكَ بأنوار ذاتِكَ القُدْسيَّة، التي بها كلُّ حادِثٍ استقام، ونتوسَّلُ إليك بنور ذاتِ نَبِيِّك المُصْطفوية الذي استضاءَتْ به قلوبُ المُؤمنين وزال عنها الظلام، وبآلِهِ وأصحابه ذوي النفوس الزَّكِيَّة، ونجوم دِينِهِ الأئِمَةِ الأعْلام، أن تَعُمنا برحمتِكَ وبركاتِكَ الرَّبانيَّة، وتَغْمِسَنَا في بِحَار اللُّطْفِ والإنعام، وتدفعَ عنَّا كل هَمٍّ وغَمٍّ وكُرْبَةٍ وبَلِيَّة، وتَكْفِينا شرَّ الذُّلِّ والإهانة وتَكْسُونا جلابِيبَ المَعَزَّةِ والاعتِصام، وتُوَفِّقْنا لصالح الأعمالِ الخالِصَةِ المقبولَةِ المَرْضِيَّة، وتُنَجِّينا من الإساءَةِ والخِزْي والانتقام، وتعفُو عما أحاط به عِلمُك من كُلِّ خَطِيَّة، وتَمْحُو عنا الذُّنوبَ والآثام، وتَسْتُرنا جميعاً في هذه الدُّنيا الدَّنِيَّة، ولا تَفْضَحنا بين خلقِكَ في يومٍ تَزِلُّ فيه الأقدام، وتتولَّى قبْضَ أرواحِنا بيَدِ قُدْرَتِكَ الرَّبانيَّة، وتجعلنا عندَ الموتِ ناطِقِينَ بشهادةِ الإسلام، وتَرْزُقنا عند سُؤَالِ المَلَكَينِ الجوابَ يا مُبْلِغَ الأُمْنِيَّة، وتُؤْنِسَنَا في قبورنا من الوَحْشَةِ والضِّيقِ والظلام، وتَلْطُفَ بنا في بعثنا ونُشُورنا وتَحْشُرنا في زُمْرَةِ صاحِبِ المقاماتِ العَلِيَّة، وتُدْخِلنا في شفاعَتِهِ وتُورِدَنا حَوْضَهُ وتَعُمَّنا عند الصِّراطِ المستقيم بالنُّور السَّنِيِّ التَّام، وتَرْزُقنا جِوَارَ نَبِيِّنَا في جِنان النَّعِيم الدَّيْمُوميَّة، وتُبَلِّغنا النَّظر إلى وجْهِكَ الكريم في دارِ المُقام، وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم على مَنْ تفرَّعَتْ جميعُ الكائِنات من دُرَرِ محاسِنِهِ البَهِيَّة، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ البَرَرَةِ الكِرام، صَلاةً وسلاماً نَبْلُغُ بهما حُسْنَ المواهِبِ اللدُنِيَّة، وننتَظِمُ بها في سِلْكِ أهْلِ طاعتِكَ أحْسَنَ انْتِظام، ونَجْلِسُ بهما على بِساطِ القُرْبِ لمُشاهدة أنوارِكَ الذَّاتِيَّة، ونَحُوزُ بهما النَّظر إلى بهاءِ جمالِكَ، والحمدُ لله على ذلك في الافتتاح والاخْتِتام.